جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

الطغيان الإنساني في القران الكريم

إعداد الطالب
سلطان محمد محارب الشراري

إشراف
الأستاذ الدكتور نايل أبو زيد

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليـــــــــــــــــــــــــــــــا
استكمالا لمتطلبات الحصول علـــى درجـــة الماجستيـــــــــــــر
في الشريعــــــــــــــــــــــة قسم أصول الديــــــــــــــن

جامعة مؤتة 2013

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب سلطان محمد الشراري الموسومة بـــ:

طغيان الانسان في القرآن الكريم

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين.

القسم: أصول الدين.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. نايل ممدوح أبو زيد		2012/12/26	مشرفاً ورئيسا
أ.د. أمين محمد البطوش		2012/12/26	عضواً
د. طالب محمد الصرايره		2012/12/26	عضواً
د. هارون نوح القضاة		2012/12/26	عضواً

عميد الدراسات العليا
أ.د. عبدالفتاح خليفات

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
tp://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤتة – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى من امتلأ قلبهما حبا وعطفا ورحمة وحنانا، إلى من جاهدا وكافحا ليوصلاني إلى ما وصلت إليه بعد توفيق الله عز وجل، إلى والدي ووالدتي العزيزين، وإلى كل من أعانني في هذه الرسالة من قريب أو بعيد، وإلى زوجتي وأولادي، أهدي هذه الرسالة وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يديم على والداي وجميع من سبق ذكره الصحة والعافية، وأن يبارك لهم في أعمارهم وأن يعينني على البر بوالداي، وأن يعيني على الوفاء لكل من سعى معي في هذا العمل البسيط الذي أسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأسأله سبحانه أن يعفو ويتجاوز عن الزلل والخطأ والنسيان .

سلطان الشـــــــراري

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات والصلاة والسلام علـــى أشـــرف الأنبيـــاء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الهادي البشير والسراج المنير.

إما بعد فلله الحمد والشكر على ما أنعم به علي من فضله، إذ يسر لي إنهاء هـــذا العمل، ولم يكن ذلك إلا بتوفيقه عز وجل، ثم أتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل **الأستاذ الدكتور نايل أبو زيد** الذي اشرف على هـــذه الرسالـــة، والذي لـــم يـــدخر جهدا في توجيهـــي ولم يبخل علي بنصيحة أو إرشاد فله خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأساتذة الكرام.................. على تفـــضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة..

جزى الله الجميع خير الجزاء

سلطان الشـــــراري

فهرس المحتويات

الملخص

الطغيان الإنساني من منظور قرآني

سلطان محمد محارب الشراري

جامعة مؤتة 2012

تميزت معالجة القرآن الكريم لموضوعاته بشمولية التناول وتنوُّعِها؛ إذ قد تختلف الظروف المحيطة بموضوع ما بحيث يكون له أثر على سير الأحداث والنتائج من باب أَوْلَى، ومن هذه الموضوعات المهمة موضوع الطغاة والطغيان الذي كان محوراً هاماً في كتاب الله يوضح مفهوم الطغاة والتعريف بالطاغين وأنواعهم، وصفاتهم، وبواعث الطغيان لديهم، وأساليبهم، ومصائرهم.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في معرفة البعد الواقعي والبعد الإنساني للطغيان والظلم والذي ينتشر في الوقت الراهن بكثرة؛ ومعرفة شخصية الإنسان الذي يلده السلطة في استخدام الطغيان والظلم، فأساءل المولى عز وجل أن أكون قد استطعت أن ابرز شيء بسيط من أنواع الطغيان والظلم كي يستفيد منها كل من يقرءا هذه الرسالة وقد استنتجت من هذه الدراسة بعض الأمور.

إن الله عز وجل لا يستعجل في الحكم على الطغاة والظالمين، وان الله عز وجل أيضا يمدهم من اجل التوبة أو زيادة العذاب لهم فكلما زاد طغيانهم زاد عذابهم، ولما أغضبوا الله بالإفراط بالعناد والمعصية كانت سنة الله التي مضت ولن تجد لسنة الله تحويلا، فهو يمهل ولا يهمل.

ليس باليد حيلة، تلك هي حجة الأغلبية الصامتة هذه الأيام وشعار القاعدين! إنها الحجة الباهتة التي تُخفي وراءها الخوف من الموت. إنه الهروب من المواجهة والقيام بالواجب ودفع الثمن هو الذي أقعد الكثيرين! ولسان حالهم يقول كما قال الأذلاء والأرقاء.

(لو علموا أن لكل نفس كتابا مؤجلا إلى أجل مرسوم، ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم. فالخوف والهلع والحرص، والتخلف لا تطيل أجلا، والشجاعة والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمرا، فلا كان الجبن، ولا نامت أعين الجبناء .

Abstract

Tyranny from the perspective of humanitarian Qur'anic

Sultan Mohammad Moharb AL'shrare

Mu'tah University, 2012

Characterized address Quran themes comprehensively approach and diversity; since they may vary the circumstances surrounding the issue of what to have an impact on the course of events and the results of a fortiori, such important topics Multi tyrants and tyranny which was an important hub in the book God explains the concept of tyrants and definition Btagain and, their recipes , and tyranny emitters have, and their methods, and their own destinies.

The importance of this study to know the dimension realistic and humanitarian dimension of the tyranny and injustice which spreads at the moment a lot; and personal knowledge of the man who power in the use of tyranny and injustice.

Vosael Almulh Almighty that I have I could most simple thing of types of tyranny and injustice for the benefit of all of this message has been concluded from this study some things.

The Almighty God is not rushing to judge the tyrants and oppressors, and God Almighty also provides them to repent or increasing torment them the more their insolence increased their torment, and when he had displeased God excessive stubbornness and disobedience was a year of God that have passed you will find the law of God conversion, it gives does not forget. Thus, we conclude that it is inevitable for the tyrants of the punishment of God and even Ttauloa in their insolence.

Not hand trick, that is the argument of the silent majority these days and laggards logo! It faded argument that hide behind the fear of death. It is avoiding confrontation and doing duty and pay the price is, who was crippled many! San what they say he said and slaves.

(If they knew that every same book deferred to order decree, will not die until meet this term of the decree. Fear and panic and concern, and underdevelopment not prolong term, courage, fortitude and courage and to fulfill not shorten life, it was cheese, and slept the eyes of cowards.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه وأصحابه أجمعين وبعد :

فإن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قول فصل وما هو بالهزل، وهو الحق والحقيق، من تمسك به اهتدى ومن تركه ضل وغوى، لا تنقضي عجائبه، ولا يَخلَقُ على كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن حكم به عدل.

من هنا كان القرآن كتابَ حياةٍ لا قصةَ حياة، وعلى هدي هذه الحقائق المطلقة، لفت انتباهي قصة فرعون في هذا الكتاب العظيم وهو من أخطر الطغاة على وجه الأرض، وكنت على يقين أن ورودها بهذا الحجم لا بد له من عِبر جليلة، وفوائدَ للأمة عظيمة، فبدأت النظر فيها مرة بعد مرة، فوجدت نفسي في شوق إلى سبر أسرارها ما استطعت إلى ذلك سبيلا. وها أنا أضع مسوغات بحثي متوكلا على الله أن يلهمني السداد والرشاد .

مسوغات البحث :

أهميته، ومشكلته، وأهدافه

أهمية البحث :

أ ــ البعد الواقعي؛ ذلك أن شخصية الإنسان الطاغي تتكرر بأشكال مختلفة وجوهر واحد، فأحيانا نراها متمثلة بشخص، وأحيانا نرى شخصية الإنسان الطاغي متمثلة بالمنهج الذي يقوم عليه جمع من الناس تواطؤا عليه، وتعاونوا على تطبيقه، وقهروا الأمم والشعوب في سبيل إخضاعهم له. فليس لأحد خيار إلا أن يدخل في دينهم ويحمل ثقافتهم وأفكارهم . فهي معاناة تتكرر كلما تهيأت لها الأسباب والظروف المواتية .

ب ـــ البعد الإنساني؛ لأن ظهور مثل هذه الشخصية كارثة إنسانية، وليست مشكلة إسلامية، وفي هذا إظهار للبعد الإنساني في القرآن وهو يدعو لمجابهة هذه الشخصية .

مشكلة البحث :

أ ـــ تتمثل مشكلة هذا البحث في سبر غور شخصية الإنسان الطاغي وتحليلها، إذ أن هناك الكثير من الأسئلة التي تحتاج إلى دراسة علمية دقيقة وعميقة، والتي سأحاول – بعون الله – الإجابة عليها من خلال هذا البحث.

أهداف البحث :

أ ـــ خدمة الأمة الإسلامية، ومنظومة القيم التي تحكمها.

ب ـــ معرفة العبر التي من أجلها ساق القرآن قصص الطغاة في مواضع عديدة.

ج ـــ الكشف عن منهج الطغاة من حيث الخصائص والمقومات والأهداف.

تمهيد

الحمد لله الذي وفق من أحب للعناية بكتابه الكريم، وأوقفهم على الجليل من حكمه وآدابه، وألهمهم تدبر معانيه وعظاته. والصلاة والسلام على من أنزل عليه الذكر تبيانا لكل شيء، نذيرا وبشيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، سيدنا محمد بن عبدالله. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على طريق هداه وسلم تسليما كثيرا. وبعد :

فإن الله تعالى قد تعلقت مشيئته واقتضت حكمته البالغة أن يخلق على الأرض بشرا من طين وأن يجعله خليفة يخلفه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره بين الناس وسياسة الخلق، لا لحاجة به تعالى إلى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لتلقي الأحكام والعلوم من الذات العلية بلا واسطة. فأرسل الرسل تترا ليعرفوا الخلق على الخالق الحكيم العزيز الرحيم ذي القوة والجبروت الذي قال في الحديث القدسي الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم ــ :" لما خلق الله الخلق، كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي"[1]

ويحببونهم إليه، فيعملون بشرعه ويمتثلون أوامره وينتهون عما نهى عنه وزجر من صنوف الآثام وضروب الفواحش والموبقات ويتحلون بأحسن الأخلاق فقد قال رسول الله – صلى لله عليه وسلم -:" إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون " قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون ؟ قال: " المتكبرون " [2].

---

1 ــ البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبــه الجعفــي، صــحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان (13، 325) ؛ ومسلم (2751).

[2] ــ الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى، سنن الترمذي، وفي الباب عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .(ج4 ، ص 310) رقم الحديث (2018) .

ولقد كان أول ما أمرنا الله تعالى به في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم بعد الإيمان به وبرسوله، طلب العلم. فكان أول ما أنزل من آيات كتاب الله العزيز قال تعالى: ù•ø$ ÉÕ'$ 7ĥ' ï%$ " {=, ÇÈ {=, $ŠÎM¡»` ôÏ @ã ÇÈ ù•ø$ r'Š 7

.[1]" ÇÎÈ ÷Þè/ Ó9 $B `»¡ ŠÎM$O‾æ ÇÍÈ Ó=)ø$ O‾æ ÇÌÈ " ï%$ã•øÆ$

وقد حث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على تعلم العلم فقال: " من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله به طريقًا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر "[2].

ولهذا جاءت شريعة خاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام شاملة لما سبقها من الشرائع ناسخة لما احتوته من الإصر والأغلال، ومشتملة على ما بوسع الناس من أنواع العبادات والمعاملات والأحكام. وإن من أعظم ما نهى عنه شرعنا العظيم وديننا الحنيف الظلم والطغيان .

فقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث قدسي طويل فيما يرويه عن ربه عز وجل، أنه قال: " يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا "[3].

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - في حديث قدسي آخر : " قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار "[4].

---

[1] ـــ [العلق : 1ـــ 5] .

[2] ـــ السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي، سنن ابي داود، (ج3 ، ص 354) رقم الحديث (3643) باب الحث على طلب العلم] .

[3] ـــ [صحيح مسلم باب تحريم الظلم ، (ج4 ، ص 1994) رقم (55)] .

[4] ـــ السجستاني، سنن ابي داود، (ج4 ، ص102) رقم الحديث (4092)] .

ولهذا فقد كرست رسالتي هذه للحديث عن ظاهرة الطغيان والتي لفت الله عز وجل نظر عباده في كتابه للبعد عنها والتحرز عن الاتصاف بها ليحيوا حياة مطمئنة رغيدة على هذه الأرض ولأجل مسمى لا يعرف أمده إلا خالق الأرض والسماء سبحانه وتعالى .

الفصل الأول
(ماهية الطغيان)

1.1 تعريف الطغيان لغة واصطلاحا :

1.1.1 تعريف الطغيان لغة

((الطغيان : الواو لغة فيه . يقال : طغوت وطغيت . والاسم الطغوى . وكل شيء يجاوز القدر فقد طغى . مثل : طغى الماء على قوم نوح، وكما طغت الصيحة على ثمود)) . [1]

ويقول ابن فارس:((الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس . وهو مجاوزة الحد في العصيان . يقال : هو طاغ . وطغى السيل : إذا جاء بماء كثير . وطغى البحر: هاجت أمواجه. والفعل منه: طغيت وطغوت، وطغى بالكسر مثله))[2].

فمعنى الطغيان كما ذكره اللغويون : هو مجاوزة الحد أو القدر المعلوم .

2.1.1 تعريف الطغيان اصطلاحا

معنى الطغيان اصطلاحا: هو مجاوزة الحد في العصيان، أو الظلم والمعاصي، أو الغلو في الكفر، وهذا حسب الاستعمال القرآني للطغيان. مفردة الطغيان في القرآن الكريم: وردت كلمة طغى ومشتقاتها في تسعة وثلاثين موضعا من القرآن الكريم، وبصيغ وتصريفات مختلفة:(طغى، يطغى، أطغى، تطغوا، طغوا، أطغيته، طغوى، طاغية، طاغوت، طاغين، طاغون) .

---

[1] ــ الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، كتاب العين ، مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، العراق : دار الرشيد د.ط 1981م (435/3) .

[2] ــ ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (412/3) ، الرازي، ومختار الصحاح ــ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ــ مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، الطبعة (1415هـ - 1995م) تحقيق : محمود خاطر، ج1 ، ص156)] .

والراجح في الاستعمال القرآني للطاغوت هو ما قاله الإمام الطبري بعد أن ذكر أقوالا كثيرة فيه حيث يقول :

(والصواب من القول في الطاغوت أنه: كل ذي طغيان على الله فعُبد من دونه إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له إنسانا كان ذلك المعبود، أو شيطانا أو وثنا أو صنما أو كائنا ما كان من شيء) [1] .

نذكر من تلك الآيات على سبيل المثال:

1- قوله تعالى : "$\$6d$$ 4<Î) bö qã ötÏù ÇÎÈ 4öÛ ¼çR) $Yôã©Zvöç% ¼çl9 Ÿwqà)ù Ff ãC× r&" .[2] ((خطاب من الله تعالى إلى موسى وهارون عليهما السلام أن اذهبا إلى فرعون فقد جاوز الحد في الكفر وتجبر وعتا " $YôãZvöç% ¼çl9 Ÿwqà)ù " مخاطبا بالقول اللين فذلك أحرى به أن يمعن النظر فيما يتلقانه ويخشى عقاب الله والقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة . ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان)) [3].

2ـ قوله تعالى : " A$% ¼çãƒÌ% $Z/‘ $B ¼çGøóÛ& `Å3»9r b%. 'Î Ê=»n@ %Šè/ ÇËÐÈ " .[4] ((القرين هنا الشيطان الذي قيض لهذا الكافر، أنكر أن يكون أطغاه، ولكنه كان في ضلال بعيد عن الحق فاستجاب له)) [5] .

---

[1] ـ الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ تحقيق د. التركي، عبدالله بن عبدالمحسن، هجر للطباعة والنشر ، ط1 ، القاهرة (1422هـ ، 2001م) ج3 ، ص19 .

[2] ـ [طه : 43] .

[3] ـ الأشقر، محمد سليمان، زبدة التفسير / دار النفائس للنشر والتوزيع ـ عمان / الأردن (1422هـ ، 2002م)؛ وانظر قطب، سيد قطب، تفسير الظلال، دار الشروق ، بيروت ـ لبنان (1408هـ ، 1988م)، ج4 ، ص2336 .

[4] ـ [ق : 27] .

[5] ـ الأشقر، زبدة التفسير ـ ج26 ، ص519 .

3ـ قال تعالى : " [illegible] " [1] .

((يمتن الله على الخلق الموجودين بعد قوم نوح أنه حملهم في الجارية [وهي السفينة] وهم في أصلاب آبائهم وأمهاتهم، الذين نجاهم الله، فاحمدوا الله واشكروه أنه نجاكم حين أهلك الطاغين)) [2].

4ـ قال تعالى : " [illegible] " [3].(وتوقد نار جهنم التي أرصدها الله، وأعدها للطاغين وجعلها مثوىً لهم ومآبا، وأنهم يلبثون فيها أحقابا كثيرا (والحقب) على ما قاله كثير من المفسرين (ثمانون سنة)) [4].

5ـ قال تعالى : " [illegible] "[5]

((وهذا من قبائح اليهود، وحسدهم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيله، وطبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله)) [6].

6- " [illegible]

---

1 ـ [الحاقة : 11] .

2 ـ النيسابوري، أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تفسير الكشاف ، ج4 ، ص588 / دار الكتب العلمية، بيروت، (2009م) .

3 ـ [النبأ:21ـ 23] .

4 ـ الزمخشري، أبي قاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد، شرح تيسير الكريم الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، (2009م) ص1070 .

5 ـ [النساء : 51] .

6 ـ الزمخشري، تيسير الكريم الرحمن / ص197/.

" ÇÏÑÈ ûïÍÿ»3߉Qö)߉$’?ã " [1]. ((أي قل لأهل الكتاب مناديا على ضلالهم، ومعلنا ببطلهم : " 9 ôáLã?4 «Ôä " من الأمور الدينية، فإنكم لا بالقرآن ومحمد آمنتم، ولا بنبيكم وكتابكم صدقتم، ولا بحق تمسكتم، ولا على أصل اعتمدتم حتى: " ÉÈ)Š3q)$9Gö‘1p $Nÿ‹Å@Ÿ " أي: ((تجعلوهما قائمين بالإيمان بهم واتباعهما، والتمسك بكل ما يدعوان إليه. وتقيموا: " rB$éR‘ìA)ôãN Ï` Bîãß " الذي رباكم، وأنعم عليكم، وجعل أجل إنعامه إنزال الكتب إليكم، فالواجب عليكم أن تقوموا بشكر الله، وتلتزموا أحكام الله، وتقوموا بما حملتم من أمانة الله وعهده. وليزيدن كثيرا من اليهود والنصارى ما أنزل إليك يا محمد من القرآن المشتمل على هذه الأحكام الحسنة طغيانا إلى طغيانهم وكفرا إلى كفرهم لأجل ما عندهم من الحسد، فلا تأس على ما يحل بهم من عذاب بسبب طغيانهم وكفرهم)) [2].

((وحينما كلف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يواجههم بأنهم ليسوا على شيء من الدين والعقيدة والإيمان. بل ليسوا على شيء أصلا يرتكن عليه! حينما كلف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمواجهتهم هذه المواجهة الحاسمة الفاصلة، كانوا يتلون كتبهم، وكانوا يتخذون لأنفسهم صفة اليهودية أو النصرانية، وكانوا يقولون: إنهم مؤمنون. ولكن التبليغ الذي كلف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يواجههم به، لم يعترف لهم بشيء مما كانوا يزعمون لأنفسهم، لأن الدين ليس كلمات تقال باللسان، وليس كتبا تقرأ أو ترتل، وليس صفة تورث وتدعى . إنما الدين منهج حياة، منهج يشمل العقيدة المستمرة في الضمير، والعبادة المشتملة في الشعائر، والعبادة التي تتمثل في إقامة نظام الحياة كلها أساس هذا المنهج، [ولما

---

[1] ــ [المائدة : 68] .

[2] ــ الزمخشري، تيسير الكريم الرحمن ، ج6 ، ص264.

لم يكن أهل الكتاب يقيمون الدين على قواعده هذه، فقد كلف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يواجههم بأنهم ليسوا على دين، وليسوا على شيء من هذا القبيل!

وإقامة التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم، مقتضاها الأول الدخول في دين الله الذي جاء به محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد أخذ الله عليهم الميثاق أن يؤمنوا بكل رسول ويعزروه وينصروه، وصفة محمد وقومه عندهم في التوراة وعندهم في الإنجيل، كما أخبر الله تعالى وهو أصدق القائلين ــ فهم لا يقيمون التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ــ وهو القرآن ــ الكتب الأخرى التي أنزلت عليهم كزبور داود]؛ نقول: إنهم لا يقيمون التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم إلا أن يدخلوا في الدين الجديد، الذي يصدق ما بين يديهم ويهيمن عليه، فهم ليسوا على شيء ــ بشهادة الله سبحانه وتعالى ــ حتى يدخلوا في الدين الأخير، والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد كلف أن يواجههم بهذا القرار الإلهي في شأنهم وأن يبلغهم حقيقة صفتهم ومواقفهم، وإلا فما بلغ رسالة ربه ــ ويا له من تهديد !

وكان الله ــ سبحانه وتعالى ــ يعلم أن مواجهتهم بهذه الحقيقة الحاسمة، وبهذه الكلمة الفاصلة ستؤدي إلى أن تزيد كثيرا منهم طغيانا وكفرا، وعنادا ولجاجا ؛ ولكن هذا لم يمنع من أمر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يواجههم بها، وألا يأس على ما يصيبهم من الكفر والطغيان والضلال والشرود بسبب مواجهتهم بها، لأن حكمته ــ سبحانه ــ تقتضي أن يصدع بكلمة الحق . وكأن الله سبحانه وتعالى يرسم للداعية بهذه التوجيهات منهج الدعوة، ويطلعه على حكمة الله تعالى في هذا المنهج، ويسلى قلبه عما يصيب الذين لا يهتدون، إذا هاجمتهم كلمة الحق فازدادوا طغيانا وكفرا)) [1].

1 ــ قطب، في ظلال القرآن، الجزء الثاني، ص939 .

7ــ قال تعالى : " $Y‹øÊ $J§)Ïdøã b& $ZŠÏ± ,ù ÈûïZÏB÷sãB çn#uqt/& b%3ù Ð»=äóø9$ $B&r " Çn÷É #\õäø2 r ".[1] قال المفسرون: ((إن الغلام كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى، وأن الخضر ــ عليه السلام ــ عمد إليه من بينهم، وكان أحسنهم وأجملهم وأضوأهم فقتله، وروي أنه اختز رأسه وقيل اقتلعه بيده والله أعلم، فلما شاهد موسى عليه السلام ــ هذا أنكره أشد من الأول .

فأجاب الخضر بأن الغلام قد طبع يوم طبع كافرا وأن أبواه مؤمنين فخشينا أن يحملهم حبه على متابعته على الكفر، فقد فرحا به حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب))[2]

2.1 تعريف الإنسان لغة واصطلاحاً:

1.2.1 تعريف الإنسان لغة

المدلول اللغوي لكلمة " إنسان " :

يقال : أنس به وإليه أنسا : أي سكن إليه وذهبت وحشته .

آنس فلانا : لاطفه وأزال وحشته فهو مؤنس وأنيس . وآنس الشيء أحس به.

وآنس: أبصر، قال تعالى: " A$)ù ÏdL{ ÎîÏ$Bè%ÎB (þ# bÎ) õ#ä $Mó ÎYR# " [3] .(الإيناس: هو الإبصار البين الذي لا شبهة فيه .وقيل : إبصار ما يؤنس به) [4].

وآنس الأمر : علم الأمر : أنست منه رشدا .

---

1 ــ [الكهف : 80] .

2. ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، د.ت، دار إحياء التـــراث العربي ــ بيروت ص88 ــ 89.

[3] ــ [طه : 10] .

[4] ــ النيسابوري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل أبو دار إحياء التراث العربي.

تقول : آنسه مؤانسة، وتأنس به .

استأنس الوحشي : أحس إنسيا .

الآنسة : مؤنث آنس وهي الفتاة الطيبة النفس المحبوب قربها وحديثها .

الأنس : حديث النساء ومغازلتهن .

والإنس خلاف الجن .

والإنسان هو الكائن الحي المفكر. والجمع أناسي، أصله أناسين .

والإنسانية خلاف البهيمية، وجملة الصفات التي تميز الإنسان أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات. والإنسي نسبة إلى الأنسة وهو واحد الإنس)). [1]

2.2.1 تعريف الإنسان اصطلاحا

((الإنسان هو آدم ــ عليه السلام ــ وذريته وهم أصل الجنس البشري الذي خلقه الله من حمإ مسنون ونفخ فيه من روحه فأصبح بشرا سويا)) [2].

وفي الحقيقة فإن ذكر كلمة إنسان في كتاب الله عز وجل من باب الدلائل على قدرة الله عز وجل في الخلق والإعدام هو ما سلف ذكره من تعريف الإنسان.

((أما ذكر كلمة إنسان في مجال التكليف فهو كل مكلف عاقل بالغ سليم الحواس ذكرا كان أم أنثى بلغة دعوة الرسول المرسل سواء أكانت مخصوصة بقوم بعينهم أو كانت دعوة عامة للناس أجمعين كدعوة النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم)) [3].

---

[1] ــ مصطفى، إبراهيم و الزيات، أحمد حسن، وآخرون ، المعجم الوسيط / دار الدعوة والنشر ، استانبول / تركيا / ج1 ، (1960م ، 1380هـ) ؛ انظر معجم العربي الأساسي ، ص113 ــ (1408هـ ، 1988م) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / تونس.

[2] ــ بن كثير، عماد الدين إسماعيل انظر قصص الأنبياء ، صفحة (28 ، 30) دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ــ القاهرة (1436هـ ــ 2005م) . وانظر قطب، الظلال ، ج18 ، ص2458 .

[3] ــ البيجوري، إبراهيم [شرح البيجوري على الجوهرة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، عام 1374هـ ــ 1954م ص27] .

3.2.1 ذكر طائفة من آيات كتاب الله التي وردت فيها لفظة الإنسان وبعض اشتقاقاتها وتعليقات المفسرين عليها .

قال تعالى :

1ـــ"r/ Pöÿ tÏ ãçZ Ödd ÏŸ$s9 J»è ³ Ž$s%ó¡# ©Ïq ‰%šr$ ÏGõOÏ3ŸÜ?ö‹ÏO `B $Kl3ŸÏsÄ r%$#A Ä¬Šiš$ NÏd `B

$Y9$ A$% $Z9 |Mù=y_& üÏ%©!$ $Z=_& $Yó/r /Ù è7Î $Z!Ò è/ ì FÕGóM$ $Y/‘ ÄS RIM$

((ويوم [1] " ÇÊËÑÈ ÒOŠÎ=æ ÒO‹Å3m 7/‘ bÎ) ª! $ä$© $B žwÎ) $gŠÏù ûïÏ$Î#»z Nä31q#B

نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته قد أضللتم منهم كثيرا أو جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير)) [2] .

((وقال أولياؤهم من الإنس الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم ربنا انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها، وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم)) [3] .

2- " r9(ô‰s) $RùìE $YgÏf OY2 ÏiŸ#Ž B ŠÅ$ ÇÆ# ÄS RIM$ Nçl; qèÈO wž)$/ qç cš $kŠ

Nèd @/ ÉÆè#F{$ 7Í»9'ré $kŠ bqãèKó„ žw b#ŒE#ä Nçl;r $kŠ brçŽÇ7ö žw ûãã& Nçl;r

. [4] " ÇÊÐÒÈ šc qè=Ï»óóø9$ Nèd 7Í»9'ré @|Ê&

وفي ابن كثير ما نصه: ((أي خلقنا وجعلنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، أي هيأناهم لها وبعمل أهلها يعملون)) [5] .

3- " r&èÈ ûöÈE$Y$$!M$ ¡»` Ÿ$B ‘ôJzÏ$ ãY»g$ R“ãY»g$ B‡ç (¼ 9šÏq Ó 2Ÿãq)Ö ÇÊÈ " [1] .

---

[1] ــ [الأنعام : 128] .

[2] ــ النيسابوري، الكشاف ، ج2 ، ص62 .

[3] ــ النيسابوري، الكشاف ، ج2 ، ص173 .

[4] ــ [الأعراف : 179] .

[5] ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2 ، ص234 .

((يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان، أنه جاهل ظالم، بأن الله أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق والأولاد، ونحو ذلك ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس وينقاد للطاغوت، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها ومثله أو خيرا منها عليه، وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، إنه يفرح ويبطر، ويظن أنه سيدوم له ذلك الخير ويقول "ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور" أي فرح بما أوتي مما يوافق هوى نفسه، فخور بنعم الله على عباد الله، وذلك يحمله على الأشر والبطر والإعجاب بالنفس، وتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدرائهم وأي عيب أشد من هذا؟! وهذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وأخرجه من هذا الخلق الذميم إلى ضده، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضرر فلم ييأسوا، وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات))[2].

4- " Nä39?#är `Ï Béà2 $B ™ωqçΗ©¾ çω bÎ)r (#r‘‰ãès? ÏRJ÷èyJ|MÏ $!« w Ÿ÷BtÁÝqd$ Ĵ žc

$!$y[¡»` 9àèqèR 2Ÿƒyϑ Ó È ÏÎÇ "[3].

((أي : هيأ لكم ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم مما تسألونه بحالكم وقالكم، وقال بعض السلف: من كل ما سألتموه وما لم تسألوه .

وقوله: " bÎ)r (#r‘‰ãès? ÏRJ÷è|MJ$!« w Ÿ÷BtÁÝqd$ " يخبر تعالى عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها، فحق الله أثقل من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين))[4].

---

[1] ــ [هود : 9] .

[2] ــ السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 1424هــ، دار الشؤون الإسلامية والاقاف والدعوة والإرشاد، الرياض المملكة العربية السعودية، ج12 ، ص434 .

[3] ــ [إبراهيم : 34] .

[4] ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2 ، ص464 .

وقوله : ((" ÎÎ) ¨bÎ) z`»|¡SM}$# ÒOqè=sàs9 Ö$¤ÿx. " أي هذه طبيعة الإنسان من حيث هو الظالم متجرئ على المعاصي، مقصر في حقوق ربه، كفار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها، إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به.

ففي هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل، يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره وذكره، ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه آناء الليل والنهار، كما أن نعمته تتكرر عليهم في جميع الأوقات)) [1].

5ــ " ô‰s)s9ur $uZø)n=yz z`»|¡SM}$# `ÏB 9@»|Áù=|¹ ô`ÏiB :*yJym 5bqãZó¡¨B ÇËÏÈ " [2].

((أي: ولقد خلقنا آدم من طين يابس يسمع له صلصلة" أي صوت " إذا نقر. وهذا الطور آخر أطوار آدم الطينية وأول ابتدائه أنه كان ترابا متفرق الأجزاء ثم بُل فصار طينا ثم ترك حتى أنتن واسود فصار حمأ مسنونا أي متغيرا ثم يبس فصار صلصالا)) [3].

((الصلصال: هو الطين اليابس الذي يصلصل عند نقره، المتخذ من الطين الرطب الآسن)) [4].

6- " {=n,n=yz z`»|¡SM}$# `ÏB 7pxÿõÜœR #sŒÎ*sù uqèd ÒOŠÅÁyz ×ûüÎ7•B ÇÍÈ " [5].

7- " @è% öq©9 öNçFRr& tbqä3Î=ôJs? tûÉî!#t“yz ÏpyJômu‘ þ’În1u‘ #]Œ)Î) óOçFò6|¡øB{ spuŠô±yz É-$xÿRM}$# 4 tb%x.ur ß`»|¡RM}$# #Y‘qçFs% ÇÊÉÉÈ " [6].

---

[1] ــ الزمخشري، تيسير الكريم الرحمن ، ج13 ، ص494 .

[2] ــ [الحجر :26] .

[3] ــ الجمل، سليمان بن عمر العجيلي، الفتوحات الإلهية، الجزء الثاني / ص543 ؛ مطبعة علي الحلبي وشركاه بمصر .

[4] ــ قطب، تفسير في ظلال القرآن ، ج14 ، المجلد الرابع ، ص2137 .

[5] ــ [النحل :4] .

[6] ــ [الإسراء : 100] .

8- " ãÃqà$#ÿr ãß»¡RÏM$#ãà2 õƒ Ÿ÷rß ÇÏÌÈ $tm ß•z é $ö¡9 MÏ Ë $B #ŒÉå& ß»¡RÏM$#ãà2 õƒ Ÿ÷rß ÇÏÌÈ $#m ß•z é $ö¡9

z þY»ïçp Ì `Ï B ®öÄ9r Ó ƒ ã7 ©ø$ ÇÏÐÈ " [1].

9- " Ìö)9r ®þY$#ŸM¡» ` Ï B 7#»=ß` Ï B `ÍÛü& ÇÏËÈ " [2].

10- " ãÃqà$#ÿr ãß»¡RÏM$#ãà2 õƒ Ÿ÷rß ÇÏÌÈ $tm ß•z é $ö¡9 MÏ Ë $B #ŒÉå& ß»¡RÏM$#ãà2 õƒ ÇÏÌÈ

ã»=ÉÎ ÓÍÉã 9Ó ã&ßïÏ õ è ÀP$#Ÿ ûÇÏÌÈ ãÃ)@ ÓÍÉã ã=!$#Çã ò2ò /ê‰% ©ã _ $äÎ '

r 2Ÿ% ÿ š$#9ãÆÜ» ß¡ÏM$¡ Çã { ä ŸrZ ÇÏÈÈ " [3].

يقول السيد قطب في تفسيره: ((ثم يعرض مشهدا من مشاهد ذلك اليوم، يصور ندم الظالمين الضالين، يعرضه عرضاً طويلا مديدا، يُخيل للسامع أنه لن ينتهي ولن يبرح الأرض ــ مشهد الظالم يعض على يديه من الندم والأسف والأسى .

فلا تكفيه يدٌ واحدةٌ يعضُ عليها. إنما هو يداول بين هذه وتلك، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع المتمثل في عضه على اليدين، وهي حركة معهودة يُرمز بها إلى حالة نفسية فيجسمها تجسيما .

" ãÃqà$#ÿr ß» B ì $#9ÏM$#ãà2 õƒ Ÿ÷rß " فسلكت طريقه، لم أفارقه، ولم أضل عنه ؛ الرسول الذي كان ينكر رسالته ويستبعد أن يبعثه الله رسولا. " ƒ»qf=ÉÎ

فلانا بهذا التجهيل ليشمل كل صاحب سوء يصد عن " ãÃ)@ ÓÍÉã ã=!$#Çã ò2ò z ®Åû

سبيل الرسول ويضل عن ذكر الله .

---

[1] ــ [مريم :76ــ77] .

[2] ــ [المؤمنون :12] .

[3] ــ [الفرقان : 27 ــ 28 ــ 29] .

لقد كان شيطانا يُضل، أو كان " š ’Îä$_ ÿ‰è/ Ìò2 Ïë!$Çã ÓÍ_Ê& ô)©" عوناً للشيطان .

يقوده إلى مواقف الخذلان، ويخذله " Ÿwrä { Ç»¡ $Mö ß»Üø‹¤±9$šc ‰Ÿ2 r " عن الجِد، وفي مواقف الهول والكرب))[1].

((يوم يعض الظالم بشركه وكفره وتكذيبه للرسل تأسفا وتحسرا، وحزنا، وأسفا " Ó_Í_F ø‹ƒ Ãq) ƒ " أي : طريقا بالإيمان به، وتصديقه واتباعه .

وهو الشيطان الإنسي أو الجني حبيبا :" Wž $R¸è õÏ B& Ó9 ÓÍ_F ø‹ Ó¨L ‹q»ƒ "

مصافيا، عاديت أنصح الناس لي، وأبرهم لي، وأرفقهم بي، واليت أعدى عدو لي، الذي لم تفدني ولايته، إلا الشقاء والخسارة والخزي والبوار حيث زين له ما هو عليه من الضلال تجدعه وتسويله .

" Ÿwrä { Ç»¡ $Mö ß»Üø‹¤±9$šc ‰Ÿ2 r "((أي: يزين له الباطل، ويقبح له الحق، ويعده الأماني، ثم يتخلى عنه، ويتبرأ منه، كما قال لجميع أتباعه، حين قضي الأمر، وفرغ الله من حساب الخلق))[2].

11 ــ " ß$B ä$J¡¡ 9$`Ë $Z¿ø‹R&r ¼ïnÏJôn‘ ô‘ ‰ƒ šú ÷/ #Ž¦ ç x»ƒ Ìh9$¯™ö& üϓ Ï%©!$qèdr

#Ž¼Ÿ2 ÓÅ$R&r $Ÿ»èR& $Y) ‹z $£Ï B ¼çµ‹É)ó ©r $Gö‹B ZŸ$£/ ¼ïnÎ ‘ Åö zŠ ÇÎÈ #YqßÛ

ÇÍÈ "[3].

---

[1] ــ قطب، في ظلال القرآن، المجلد الخامس، دار الشروق (ص1234).

[2] ــ الزمخشري، تيسير الكريم الرحمن ، ص680 .

[3] ــ [الفرقان :48ــ 49] .

12ــ " [illegible]
[illegible] "[1] .

13ــ " [illegible]
[illegible] "[2] .

14ــ " [illegible] "[3] .

معناه أن حق الإنسان أن لا يغتر بتكرم الله عليه، حيث خلقه حبا لينفعه ويتفضل عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكفله فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب، اغترارا بالتفضل الأول، فإنه منكر خارج من حد الحكمة .

15ــ " [illegible] "[4] .

((الكدح: جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها، من كدح جلده: إذا خدشه؛ ومعنى كادح إلى ربك: أي جاهد إلى لقاء ربك، وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء " فملاقيه " فملاق له لا محالة، لا مفر لك منه)) [5].

1.3 مصطلح طغيان الإنسان والسمات العامة المشتركة للطغاة ومنهاج حياتهم

1.3.1 مصطلح طغيان الإنسان .

---

1 ــ [لقمان :14] .
2 ــ [فصلت :29] .
3 ــ [الانفطار :6] .
4 ــ [الانشقاق :6] .
5 ــ النيسابوري، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، الكشف والبيان ــدار إحياء التراث العربي ــ بيــروت، لبنان (1422هــ، 2000م) الطبعة الأولى، ج5 ، ص713 ؛ وانظر البغوي، الحسين بن مسعود تفــسير البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة 1417 هــ - 1997 م .

((إن حادثة خلق الإنسان حادث ضخم، وهذه اللحظة هي أعظم لحظة مرت بها الأرض في تاريخها الطويل . لقد كرم الله تعالى هذه الخليقة باختيار واحد منها ليكون ملتقى نوره الإلهي ومستودع حكمته ومهبط كلماته، وهذه حقيقة كبيرة تتكشف جوانب من عظمتها حين يتصور الإنسان حقيقة الألوهية المطلقة الأزلية الباقية .

لقد نفخ الله من روحه في هذا الكائن البشري، لأن إرادته اقتضت أن يكون خليفة في الأرض .

إن الله ذو الفضل الواسع والرحمة السابغة، يفيض من عطائه ورحمته بلا سبب ولا علة، سوى أن الفيض والعطاء بعض صفاته الذاتية الكريمة. وهذه الكرامات الربانية كرامات لا يكاد الإنسان أن يتصورها، ولا يملك أن يشكرها، ولو قضى عمره راكعا ساجدا .

ليس وراء الطغيان إلا الفساد. كما أن الطغيان يفسد الطاغية ويفسد الذين يقع عليهم الفساد، إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه، ويُعنى بكلمة مزدوج على وجه التحديد أن بطبيعة تكوينه من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه، مزود بالاستعدادات المتساوية للخير والشر، والهدى والضلال. فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وبين ما هو شر . [1]

2.3.1 السمات العامة المشتركة للطغاة ومنهاج حياتهم :

ومن خلال دراستي لمفهوم الطغيان وتأملي في معنى الطاغية والطغاة أفرادا كانوا أم جماعات، وجدت أن لهم خصائص عامة مشتركة تربطهم، وسمات بارزة توضح معالم شخصياتهم، وهدفا مشتركا أسمى يسعون لتحقيقه .

ولتحقيق هذا المبتغى فقد اتفقوا نفسيا وتآلفوا سلوكيا على وضع منهج عام يطبقونه وفق خطط مدروسة، وإجراءات عملية ينفذونها بأنفسهم وأدواتهم، أو عبر أعوانهم المخلصين لهم ولمناهجهم ومبادئهم ولفلسفة حياتهم. هذا المنهج يعتبرونه

---

[1] ــ قطب، تفسير الظلال ، ج3 ، ص 3904ــ ج8 ، ص 65ــ ج23 ، ص3027 .

شرعا أو دستورا يتوجب على نفوسهم المريضة تطبيقه ويتحتم على غيرهم إطاعته إطاعة عمياء، بلا جدال أو نقاش وإلا تعرضوا لأعتى صنوف العذاب والنكال .

لو تأملنا سلوك معظم الطغاة العتاة، لوجدنا أنهم يتمتعون بمسحة من الذكاء يغرس في نفوسهم نزعة التفوق العقلي على من حولهم، ويجهدون في غرس هذا الإحساس عنهم فيمن يكون من الرعية شعوبا كانوا أم جماعات أم أفرادا (فقد يمارسه رب الأسرة على أفراد أسرته، والتاجر على زبائنه)، وخاصة عندما تتوفر لديهم أساليب تحقيق مآربهم الشيطانية الخبيثة من قوة ذاتية عمياء، ووسائل لا تتفق إلا مع منهاجهم الذي حددوه بأنفسهم، بعيدا عن معايير العقيدة الإلهية، ومعايير الأخلاق، والفضائل، واحترام إنسانية الإنسان وكرامته. وكل هذا مؤيد بدعم الموالين والأنصار، وقبل كل شي استدراج خالقهم ومبدعهم الكبير المتعالِ لهم . بما قضاه من حكم أزلي عليهم، رفعت بعده الأقلام وجفت صحف الأقدار .

أما السمة الأخرى للطاغية فهي ضَعف الإيمان، أو حتى خلو قلبه منه على الإطلاق، لأن قلبه الذي ختم الله عليه، وسد عليه طريق الهداية ومنافذها من سمع وبصر، فعميت بصيرته، لم يعد يستشرف الهدى، فتُشرق عليه وفيه نور الهداية الساطع، ولم يعد يحرك ركود مائه الآسن بالغُ العبر والعظات .

((فالإيمان والتقوى هما اللذان يشرحان القلب للهدى والنور والموعظة والعبرة، وهما اللذان يزينان للقلب اختيار الهدى والنور والانتفاعَ بالموعظة والعبرة)) [1].

أما السمة الثالثة من سمات الطغاة فهي عدم وجود الرغبة لديهم في الحق والقدرة على اختيار طريقه، والرغبة في الحق والقدرة على اختيار طريقه، لا ينشئهما إلا الإيمان، ولا يحفظهما إلا التقوى، أما مجرد العلم والمعرفة فقد لايمنعان المرء من التمرغ في حمأة الضلال والإبحار المميت في محيط الطغيان، خضوعا لشهوات أنفسهم وحتى لا يشردون عن نهجهم، ويضلوا عن طريق تحقيق أهدافهم،

---

[1] ــ قطب، في ظلال القرآن، ج1 ، ص480 .

وإن اقتضى الأمر أن يموتوا في سبيل تحقيقها كاملة غير منقوصة ــ وهذا في نظرهم شهادة دستورية أقرتها بنود منها جهم الباطل فما هي بزعمهم إلا حياة دنيا يعيشون فيها، ويموتون فيها، وما ينتظرهم إلا الفناء والبِلى، وما هم بمعذبين .

أما السمة الأخيرة من سمات الطغاة، فهم يعولون كثيرا على ميل معظم الناس إلى الدعة والهدوء، وعدم الزج بالنفس في أثون المعارك والنزاعات فالنفس تهفو إلى الراحة والسكينة، فمعظم النفوس ضعيفة، والقوى متضعضعة، والعزائم لينه، والاستكانة والخنوع أسلم الطرق للحصول على بعض الحاجات، وبلوغ بعض الغايات. وبهذا يحقق الطاغي مبتغاه وينال مراده، فيحكم منهجه ويسود سلطانه.

4.1 ألفاظ ذات صلة بالطغيان ويشتمل على ستة مطالب

1.4.1 ((الإسراف :ــ يقال : إسراف وسرف أي تجاوز الحد في الإنفاق وهذا هو المعنى اللغوي في الإسراف)) [1] .

أما المعنى الإصطلاحي ففيها أقوال ذكرها المفسرون منها : 1- قال إياس بن معاوية [2] : ما جاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف . وقال غيره : ((السرف النفقة في معصية الله)) [3].

ومن آيات الله التي ذكرت الإسراف :

1ــ قوله تعالى : " šÏ%©!$#ur !#sŒÎ) (#qà)xÿRr& öNs9 (#qèùÌó¡ç öNs9ur (#rçŽäIø)tƒ tb%Ÿ2ur šú÷üt/ y7Ï9ºsŒ $YB#uqs% " [4] .

قال المفسرون : ((أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، أي زيادة عما هو طبيعي ومعقول، ولا يبخلون على أهليهم فيقصرون في حقهم ولا يكفونهم، وخير الأمور أوسطها)) [5] .

((وهذه سمة الإسلام التي يحققها في حياة الأفراد والجماعات، ويتجه إليها في التربية والتشريع، يقيم بناءه كله على التوازن والاعتدال. والمسلم ــ مع اعتراف الإسراف بالملكية الفردية المقيدة ــ ليس حرا في إنفاق أمواله الخاصة كما يشاء ــ كما هو الحال في النظام الرأسمالي، وعند الأمم التي لا يحكم التشريع الإلهي حياتها في كل ميدان. إنما هو

---

1 ــ الزيات، وآخرون، المعجم الوسيط. [المعجم الوسيط / ج2] ص153 .

2 ــ [إياس بن معاوية المزني ، ولد سنة 46هــ في اليمامة نجد ، انتقل إلى البصرة وفيها تعلم ، تردد إلى دمشق ونهل من علمائها ؛ قال فيه الجاحظ : كان إياس من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة وكان فقيها فطنا وكان صادق المدى وكان عجيب الفراسة ملهما ، توفي في مدينة واسط] .

3 ــ الزمخشري، تسير الكريم الرحمن، ص288 .

4 ــ [الفرقان : 67] .

5 ــ ابن كثير، تفسير القران العظيم، ص288 ؛ قطب، تفسير ظلال، ج5، ص2578 ــ 2579.

مقيد بالتوسط في الأمرين الإسراف والتقتير، فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع، والتقتير مثله حبس للمال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع الجماعة من حوله. فالمال أداةٌ اجتماعية لتحقيق خدمات اجتماعية.

والإسراف والتقتير يُحدثان اختلالا في المحيط الاجتماعي والمجال الاقتصادي، وحبس المال يحدث أزمات ومثله إطلاقها بغير حساب. ذلك فوق فساد القلوب والأخلاق .

والإسلام ينظم هذا الجانب من الحياة يبدأ به من نفس الفرد، فيجعل الاعتدال سمة من سمات الإيمان)) .[1]

2ــ قوله تعالى : " @è ƒ»è7$$Š " $%ïûî & ó Žèq(ã?# &Rãy Åg ôÛ wÿ ?(ZÜq(Ë` §qèHpŠ$ «!

ç?‰$¸ ÷Åó? (ã?# &Rãy Åg ôÛ ÿ (ZÜq(Ë

.[2] " ÇÌÈ ãïm§9$# âqàÿtóø9$# uqèd ¼çR) $è‹Ïd >qçR%!$# ãyøóƒ ©!$# b)

يقول المفسرون : ((إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية، كائنة ما كانت، وإنها الدعوة للأوبة . دعوة العصاة المسرفين الشاردين، المبعدين في تيه الظلال، دعوة إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله . إن الله رحيم بعباده ؛ فهو يعلم ضعفهم وعجزهم ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانهم ومن خارجه، ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد ويأخذ عليهم كل طريق .

يعلم الله ــ سبحانه وتعالى ــ عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له في العون، ويوسع له في الرحمة ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيء له جميع الوسائل ليصلح خطأه ويقيم خطاه على الصراط . وبعد أن يلج في المعصية، ويسرف في الذنب، ويحسب أنه قد طرد وانتهى أمره، في هذه اللحظة، لحظة اليأس والقنوط، ويسمع نداء الرحمة الندي اللطيف . " @è ƒ»è7$$Š " $%ïûî & ó Žèq(ã?# &Rãy Åg ôÛ wÿ ?(ZÜq(Ë`

. " ÇÌÈ ãïm§9$# âqàÿtóø9$# uqèd ¼çR) $è‹Ïd >qçR%!$# ãyøóƒ ©!$# b) §qèHpŠ$ «!

[1] ــ قطب، في ظلال القرآن، ج5 .

[2] ــ [الزمر : 52] .

ليس بينه وبين الرحمة الندية الرحبة، وظلالها السمحة المحببه، إلا التوبة التوبة وحدها . الأوبة إلى الباب المفتوح الذي ليس عليه بواب يمنع، والذي لا يحتاج من يلج فيه إلى الاستئذان)) [1].

3ــ قوله تعالى : " $Br .%b ùq9$Ó)Wّ &b %$$q} '‘Z$$ôøÿëّ 9Z$ èÇq/Y$ rÎ óŽ#ùY$ îþ &BìR$

rMôÎ ‰%#BY$ $R ÅYöR$ ã?’ $$)öqÖ$$ 6 »ÿí ïûã ÈÐÍÇ " [2].

((أي : تجاوزنا الحد في ارتكاب الكبائر ــ حيث أضافوا الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين براءة من التفريط في جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهم وإسنادا لما أصابهم إلى أعمالهم، وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الأهم بحسب الحال من الدعاء)) [3].

2.4.1 العلو: قال ابن فارس (ت : 395هــ) :((العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واوا أو ألفا، أصل واحد يدل على السمو والارتفاع .

ومن ذلك العلاء والعلو. ويقال لكل شيء يعلو: علا يعلو. فإن كان في الرفعة والشرف قيل: علي يعلي. ومن قهر أمرا فقد اعتلاه واستعلى عليه وبه))[4].

قال تعالى : " rW ãqè% ¼çmÞåÏ‹xKƒ rè dq $$#•èn’ $$#•ÏÜÅÊ‰ " [5]. ويبين الأصفهاني معاني العلو بقوله : ((العلو ضد السفل ؛ والعلو : الارتفاع . يقال : وقد علا يعلو علوا وهو عال .

[1] ــ قطب، تفسير في ظلال القرآن، ص3058.

[2] ــ [آل عمران :147] .

[3] ــ الحنفي الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، تفسير روح البيان ــدار إحياء التراث العربي (2 /87)] .

[4] ــ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة .

[5] ــ [البقرة : 255] .

وقيل : إن علا يقال في المحمود والمذموم)) [1].

فالعلو بعضه مذموم وبعضه محمود، قال تعالى ذما لفرعون : " bÎ
ßðä$Ÿá ßxîå ãßäèßB ætýí$Û ß÷ëèÒGó„ $ÿè‹© $g=ëå ÿè_r Ç Ûß¤$’Î Ÿxã šc öqãöÏù
. "[2] ÇÎÈ ûïÏ‰Å¡øÿßJø9$# `ÏB šc %. ¼çR) ßðä$¡¡ÏR ¾ÈÕöÇGó„r

وقال تعالى : " ßðè $ZtÙ™öâ ßq› 4† r&z $Ïd ößrã Ïç$«ƒ$ZÏ» Ý r'ßUÌ»9 BßÎüÀ ÇÎÈ
.[3] " ÇÎÈ û,Î$ã $Böqè% (qçR%.r (rçŽ9ŽFõ™$$ù ¾ÏmƒZ Br šc öqãöÏù 4<Ï)

وفي الكشاف ((فإن قلت : ما المراد بالسلطان المبين ؟ قلت : يجوز أن تراد العصا، لأنها كانت أم آيات موسى وأولادها وقد تعلقت بها معجزات شتى، من انقلابها حية، وتلقفها ما أفكته السحرة، وانفلاق البحر)) [4].

وقال لإبليس : " ßØ9ŽGõ3G ßN |Zä. ôQr& |MZä. `ÏB û,Î$èù ÇÐÎÈ " [5].

((الوجه الذي استنكر له إبليس السجود لآدم، واستنكف منه أنه سجود لمخلوق، فذهب بنفسه وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق، وانضم إلى ذلك أن آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ؛ ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب، وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده عليه وأقربهم منه زلفى وهم الملائكة، وهم أحق بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم، ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم)) [6].

---

1 ـــ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن، المتوفى سنة 502هـــ ، تحقيق محمد سيد كيلاني الناشر دار المعرفة ـــ لبنان ، [ج1 ، ص 345] .

2 ـــ [القصص : 4] .

3 ـــ [المؤمنون : 45 ـــ 46] .

4 ـــ النيسابوري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج13،ص191.

5 ـــ [ص : 75] .

6 ـــ النيسابوري، تفسير الكشاف، ج4 ، ص108 .

وقال تعالى : "r_ s%r(ﬁ $k ﬂ$ pO ø) (¼$ g R& ﬁ$ u&ã$ t# r$ y# yèõ r& #u $# R$ kå xø ï ø. ã # b¼

. [1] " Çï Ï ‰Å¡ ø ßJ ø9$# è pt7 É) ã

(والعلو في الآية: الكبر والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى؛ أي جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم، والاستيقان أبلغ من الإيقان)[2].

((والاستعلاء قد يكون طلب العلو المذموم، وقد يكون طلب العلاء أي الرفعة)) [3] .

وقد ورد العلو في القرآن الكريم في ستين موضعا، وقد وُصف الله به في سبع وعشرين موضعا، واحتل استعمال العلو بمعنى الطغيان أو مجاوزة الحد والقدر المعلوم أو الاستكبار ثلاثة عشر موضعا وأغلبها في وصف فرعون وقومه والملأ المترفين من حوله، نذكر من تلك الآيات على سبيل المثال :

1ــ قوله تعالى: " §Nè O $Z ù™ö & q ›4 † r& z $ q ã b r& d $ î ʃ $» Ê $Z r ß » U 9 B îÎ û ÇÎ È 4 ‹Ï

. [4] " Ç Î È û , Î $ ã $B q ö % (q ã Z . r (r ž 9 3 F ó ™ $ $ ù ¾ Ï n ƒ Z B r š c ö q ã ö Ï ù

((أي : " §Nè O $Z ù™ö & q ›4 † r& z $ q ã b r& d " بآياتنا التسع، والسلطان المبين : الحجة الواضحة البينة إلى " ¾Ï n ƒ Z B r š c ö q ã ö Ï ù " : هم الأشراف منهم . "

" $ $ ù ™ ó F 3 9 ž r (" : أي طلبوا الكبر وتكلفوه فلم ينقادوا للحق " r . Z ã q (% ö q $B $ ã Î , û "))

أي : قاهرين للناس بالبغي والظلم، مستعلين عليهم)) [5].

---

[1] ــ [النمل : 14] .

[2] ــ النيسابوري، تفسير الكشاف، ج4، ص357 .

[3] ــ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن، المتوفى سنة 502هــ ، تحقيق محمد سيد كيلاني الناشر دار المعرفة ــ لبنان ، ص 345 .

[4] ــ [المؤمنون :46] .

[5] ــ الأشقر ، زبدة التفسير ، ص435 ، ط1.

2ــ قوله تعالى : " r_ s %rß($κÍ5 $¨ŠøÏ)tGs)øŠo$ $pκ÷Gs R& ÷Gs Nåκ$ $VθèŠB #YϑèŠr #ŠÎR$ŠÍàö .ø# .¼b

ã Ñ7Ï$ 3 ¨ ŠÏ&ø ¨ ¨ Å‰ ïû ÈÍ Ç " [1] .

((أي كفروا بآيات الله جاحدين لها، وليس جحدهم مستندا إلى الشك والريب، وإنما جحدهم مع علمهم وتيقنهم بصحتها ظلما منهم لحق ربهم ولأنفسهم، وعلوا على الحق وعلى العباد وعلى الانقياد للرسل)) [2].

وفي زبدة التفسير : ((أي : كذبوا بها حال كون أنفسهم مستيقنة بصحتها تكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها من عند الله، فانظر يا محمد ؛ أي : تفكر في ذلك، فإن فيه معتبرا للمعتبرين)) [3].

3ــ قوله تعالى : " bÎ) šχöqtãöÏù Ÿxã ’Îû ÇÚö‘F{$# Ÿ@yèy_r& $ygn=÷dr& $Yèu‹Ï© ß#ÏèôҐtó„ Zpxÿ

Í←!$sÛ öNåk÷]ÏiB ßxÎn/x‹ãƒ öNèduä!$oYö/r& ¾ÄÓÍ÷tGó¡o„r& öNèdu!$|¡ÏR 4 ¼çm¯RÎ) šc%x. z`ÏB tûïÏ‰Å¡øÿßJø9$# " [4].

" bÎ) šχöqtãöÏù Ÿxã ’Îû ÇÚö‘F{$# "

أي : في ملكه وسلطانه وجنوده وجبروته، فصار من أهل العلو فيهـــا، لا من الأعلين فيها .

" Ÿ@yèy_r& $ygn=÷dr& $Yèu‹Ï© " أي: طوائف متفرقة، يتصرف فيهم بـــشهوته، وينفـــذ فيهم ما أراد من قهره، وسطوته.

" ß#ÏèôҐtó„ Zpxÿ Í←!$sÛ öNåk÷]ÏiB " وتلك الطائفة، هم بنو إسرائيل، الذين فضلهم اللّه على العالمين، الذين ينبغي له أن يكرمهم ويجلهم، ولكنه استضعفهم، بحيث إنه رأى أنهم لا منعة لهم تمنعهم مما أراده فيهم، فصار لا يبالي بهم، ولا يهـــتم بـــشأنهم .

---

1 ــ [النمل :14] .

2 ــ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص705.

3 ــ الأشقر، زبدة التفاسير، ص378 .

4 ــ [القصص :4] .

وبلغت به الحال إلى أنه " Nèdä$ ¡ Ï ¾ÅÖGó„r Nèdä$Ÿ÷ƒ 9x‹ã " خوفا من أن يكثروا، فيغمروه في بلاده، ويصير لهم الملك .

الذين لا قصد لهم في إصلاح الـــدين، ولا " ûïÏ‰Å¡øßJ9$# `ÏB šc %. ¼çm¯R) " إصلاح الدنيا، وهذا من إفساده في الأرض .[1]

فالعلو والطغيان توأمان متلاصقان، فليس هناك طغيان بدون علو، أو علـــو بدون طغيان، فإذا وجد أحدهما لزمه الآخر وبالعكس .

3.4.1 الاستكبار : ((أَصل كلمة الاستكبار مشتق من الفعل كَبُر كبرا وكُبرا وكبارة بمعنى عَظُم وجَسُم .

يقال : كَبُر الأمر فهو كبير .

وكَبُر عليه الأمر : شق وثقل .

ويقال : أَكبرَ فلانا : أعظمه .

تكبر : تعظم وامتنع عن قبول الحق معاندة .

أما لفظ المتكبر فهو من أسماء الله الحسنى : أي العظيم ذو الكبرياء أو المتعالي عن صفات الحق .

قال تعالى مخاطبـــا بنـــي إســـرائيل : " Ν ä3 $J ¯ Aq ß' Nä.u` $J=ä3 ù& # "

" ÇÑÐÈ šc qè=çFø)s? $Z)ƒÌsùr ãN çFö/¤‹x. $Z)ƒÌsù ãN è?÷Žy9õ3tFó™$# ãNä3Ý¡àR& ".[2]

واستكبر : أي امتنع عن قبول الحق معاندة (أيضا) .

فالاستكبار إذاً هو : الامتناع عن قبول الحق رغـــم ظهـــور دلائلـــه الجليـــة وعلاماته الواضحة عنادا)) .[3]

---

[1] ـــ الزمخشري، تيسير الكريم الرحمن [ص 611] .

[2] ـــ [البقرة : 87] .

[3] ـــ الزيات، [المعجم الوسيط ص773]./ البيجوري، على جوهرة التوحيد، ص17 .

((وقد فسر الحق بأنه الحكم الذي طابقه الواقع، واختار بعض المحققين أن الحق والصدق شيء واحد وهو مطابقة الخبر للواقع لأن الواقع شيء ثابت في نفسه يقاس عليه غيره))[1].

وأما ((المتكبر : فهو المتعالي عن صفات الخلق وهذه صفة يستحقها بذاته وهو مشتق من الكبرياء))[2].

وقيل : ((المتكبر عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به، وأصل الكبر الكبرياء: الاقتناع وقلة الانقياد ؛ قال حميد بن ثور : عفت مثل ما يعفو الفيصل فأصبحت بها كبرياء الصعب وهي ذلول))[3].

وأما ((الجبار : فهو الذي جبر الخلق على ما أراد من أمره ونهيه))[4].

وقيل : ((الجبار : لأنه جبر الخلق على ما أراد والخلق أرق شأنا من أن يعصوا (له أمرا) بطرفة عين إلا بما أراد . وسئل بعض الحكماء عن معنى الجبار، فقال : هو القهار الذي إذا أراد أمرا فعله وحكم فيه بما يريد لا يحجزه عنه حاجز ولا يفكر فيمن دونه .

ابن آدم اجتُبِيَ من غير طاعة وإن إبليس لُعِنَ عن كثرة الطاعة : وقيل :

هو الذي لا تناله الأيدي ومن قول العرب : نخلة جبارة، إذا طالت وفاتت الأيدي))[5].

قال تعالى ذاكرا الاستكبار :

-1 " $Y/‘ 3“ •R #& è3Í»=J$$$Zǒã AÌ'R&éWöq9 $Rä$)ï šc qã_ö÷ Ÿw ûïÏ%©!A%r "

. [1] " ÇËÈ #ŽÎ7. #qçã öGãr NÎgÅ¡àR& þÎ (rçŽ9ö3GóŸ$$Ï‰)9

---

[1] ــ البيجوري، [البيجوري على الجوهرة ، ص17] .

[2] ــ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، الأسماء والصفات ، والمتوفى سنة 458هـ ــ المحقق عبدالله بن محمد الحاشدي الطبعة الأولى ــ مكتبة السوادي ــ جدة ، ج1 ، ص89 .

[3] ــ النيسابوري، كشف البيان، ط1 ، ج9 ، ص288 .

[4] ــ البيهقي، الأسماء والصفات للبيهقي ، ج1 ، ص89 .

5 ــ النيسابوري، كشف البيان، دار إحياء التراث العربي، ج9 ، ص288 .

2- " [illegible] " [2] .

3- " [illegible] " [3] .

4- " [illegible] " [4] .

5- " [illegible] " [5] .

ويجوز التكبر في بعض المواطن كما في قصة أبي دجانة ــ رضي الله عنه ــ : فقد ورد عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من يأخذ هــذا الــسيف بحقه ؟ " فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم حتى قام أبو دجانة سماك بن خرشة ــ أخو بني ساعدة ــ فقال وما حقه يا رسول الله ؟ قال: " أن تضرب به العدو حتى ينحني " قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه. فأعطاه إياه. وكان أبو دجانــة رجــلا شــجاعا

---

1 ــ [الفرقان :21] .
2 ــ [البقرة : 87] .
3 ــ [سبأ : 31 ــ 33] .
4 ــ [الصافات : 35] .
5 ــ [فصلت : 15] .

يختال عند الحرب، إذا كانت، وكان إذا عُلِمَ بعصابة له حمراء، يتعصب بها علـــى رأسه علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ أخرج عصابته، فعصب بها رأسه ثم جعل يتبختر بين الصفين. وأقبل القوم حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس [1].

لقد رأى النبي أبا دجانة سماك بن خرشة الأنصاري يتبختر بين الصفين فقال : " إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن " [2].

4.4.1 التجبر: ((الجيم والباء والراء أصل واحد، وهو جنس من العظمة والعلو والاستقامة. فالجبار الذي طال وفات اليد. يقال فرس جبار ونخلة جبارة . ويقال: أجبرت فلانا على الأمر، ولا يكون ذلك إلا بالقهر وجنس من التعظم عليه)) [3].

قال ابن منظور : ((والجبار :ــ المتكبر الذي لا يرى لأحد حق عليه .

وتجبر الرجل تكبر ؛ والجبار : المتكبر على عبادة الله تعالى .

ومنه قوله تعالى : " ÇÍÈ $‡Å ã #‘$6¬_ `ãƒ Ó9r " [4] ؛ وكذلك قول عيسىــ عليه السلام : " ÇÌÈ $‡É© #Y$7¬_ ÓÍ_ù‡t N9r " [5] أي : لم يجعلني متكبرا عن عبادة الله تعالى . والجبار من الملوك العاتي . وقيل : ((كل عات جبار . وقلب جبار : أي ذو كبر لا يقبل موعظة، ورجل جبار : مسلط قاهر . قال الله عز وجل : " $Br

---

[1] ــ النيسابوري ــ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر ــ تفسير ابن المنذر (المتوفى : 319هـ) تحقيق سعد بن محمد السعد ، دار المآثر - المدينة النبوية ــ الطبعة الأولى (1423 هــ 2002 م) [ج2 /430]

[2] ــ الزرعي، ــ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ــ روضة المحبين ونزهة المشتاقين دار الكتب العلمية - بيروت (1412هــ - 1992م) [ص 11] .

[3] ــ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 501/1] .

[4] ــ [مريم : 14] .

[5] ــ [مريم : 32] .

|MR& Nï¢ã Ç‰ç2 <ù ö¿ Ÿ¹#äâÇŠ `B ß$¤ƒ† ‰Šãr ÇÎÈ " [1] . أي : بمسلط فتقهرهم على الإسلام)) [2].

وقد وردت كلمة " جبر " ومشتقاتها في القرآن الكريم في عشرة مواضع وصف الله سبحانه وتعالى بصفة الجبار في موضع واحد في حين أفاد معنى الطول والضخامة في موضع واحد أيضا، وفي بقية المواضع التي ذكر فيها أفاد معنى الطغيان والاستكبار والعتو والتسلط والقهر وما إلى ذلك من المعاني التي تدخل ضمن الطغيان والآيات هي :

1ـ قال الله تعالى : " ûr7 ‰ã¼ _ s‰r{ Î‰«$¤ƒM Ýãr ÁöÄ{ â‰ß#ã¼ $?7ãpْ} ®‰•ä@

A$7ـ ‰ŠÏã ÇÎÈ " [3]؛ ((فهي المعصية لأمر الرسل والإتباع لأمر الجبارين والإسلام هو طاعة أمر الرسل، لأنه أمر الله ومعصية أمر الجبارين، وهذا هو مفرق الطرق بين الجاهلية والإسلام، وبين الكفر والإيمان، في كل رسالة وعلى يد كل رسول)) [4] .

وفي ابن كثير : ((تلك عاد كفروا بآيات ربهم وعصوا رسل الله، وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به، فعاد كفروا بهود فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل، تركوا اتباع رسولهم الرشيد واتبعوا أمر كل جبار عنيد)) [5].

---

[1] ـ [ق : 45] .

[2] ـ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي مجد الدين، والمصري، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، [لسان العرب (ج4 / ص 113ـ 114)؛ تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ا(1426 ـ 2005م)، لقاموس المحيط، مؤسسة الرسالة (ص 460)] .

[3] ـ [هود : 59] .

[4] ـ قطب، تفسير الظلال : ص1901 .

[5] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثاني ، ص386 .

2ـ وقال تعالى : " ‰qß Gÿ Gö'$‰ r{‰> 2@à _‰7$‰ ã‰Ÿ‰ ÇÎÈ " [1] .((أي استنصر الرسل بالله على أعدائهم . وقيل المعنى : طلب الكفار من الله أن يقضي بينهم وبين الرسل، فيُهلك الظالم وينصر المظلوم . فلما قضى الله بينهم نصر الرسل والمؤمنين وخاب المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً، والعنيد ـ المعاند للحق والمجانب له ـ الذي أبى أن يقول لا إله إلا الله)) [2].

3ـ وقال تعالى : " r‰ C# ‰q‰ ‰‰ 9Ó r‰ `‰ _‰$‰# ã Å‰$ ÇÍÈ " [3] .((تتحدث الآيات عن يحي بن زكريا ـ عليهما السلام ـ كان لطيفا بوالديه محسنا إليهما، ولم يكن متكبرا ولا عاصيا لوالديه أو لربه)) [4].

4ـ وقال تعالى : " r‰ C# ‰q‰ Î$Î‰ ’9r Ó‰ _‰$‰# ©‰ $‰ ÇËÈ " [5] .

تتحدث الآيات عن عيسى عليه السلام ؛ ((علم في تلك الحال أنه لم يكن له أب . " 9r Ó‰ _‰$‰# ©‰ $‰ " . الجبار في هذه الآية المتعظم الشقي العاصي لربه . وقيل : الخائب . وقيل العاق)) [6].

5ـ وقال تعالى : " r‰ /Ü‰ O /Ü‰ Ó _‰$ ‰û ÇÈ " [7].

تتحدث الآية عن عاد قوم هود ؛ ((أي : يصفهم بالقوة والغلظة والجبروت)) [8].

---

[1] ـ [إبراهيم : 15] .
[2] ـ الأشقر، زبدة التفسير ، ص257 .
[3] ـ [مريم : 14] .
[4] ـ الأشقر، زبدة التفسير ، ص603 .
[5] ـ [مريم : 32] .
[6] ـ الأشقر، زبدة التفسير ، ص307 . مع بعض التصرف .
[7] ـ [الشعراء : 130] .
[8] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص302 .

6ـ وقال تعالى : " ù=B$$ b‚& '#Š &b ŸÜ · | $©¼" “ dq ãB$©ŸJ %$A ƒ»B q ›Ø é&ƒ%

b& ?þ6@= Ó . J$ %$Mu |R$ÿ$ G$ ß$ D$ A$ bÎ) b‚èƒ%$ ÏM b& ?ä$ qb _Ÿ7#Ÿ Î'’$ DŒö JÙ rB$

è‚ƒ%$ b& ?ä$ qb Ÿ`Ï$ B$ ÁA ïŸÅ$ Ÿüû ÈŸÇ "[1] .

((إنه صاحبه الإسرائيلي (صاحب موسى) الذي طلب بـالأمس نـصرته على القبطي . إنه هو مشتبكا مع قبطي آخر، وهو يستـصرخ موسـى لينـصره، ولعله يريد منه أن يقضي على عدوهما المشترك بوكزة أخرى ! قال لـه موسـى : إنك لغوي مبين : غوي بعراكه هذا الذي لا ينتهي واشتباكاته التـي لا تثمـر إلا أن تثير الثائرة على بني إسرائيل، وهم عن الثورة الكاملة عاجزون، وعـن الحركـة المثمرة ضعفاء . فلا قيمة لمثل هذه الاشتباكات التي تضر ولا تفيد

ولكن الذي حدث أن موسى ــ عليه السلام ــ بعد ذلك انفعلت نفسه بـالغيظ من القبطي، فاندفع يريد أن يقضي عليه كما قضى على الأول بـالأمس ! ولهـذا الاندفاع دلالته على تلك السمة الانفعالية التي أشرنا إليها ــ ولكن لـه دلالتـه مـن جانب آخر على مدى امتلاء نفس موسى ــ عليه السلام ــ بالغيظ من الظلـم ــــ والنقمة على البغي والطغيان، والضيق بالأذى الواقع على بني إسرائيل، والتحفـز لرد العدوان الطاغي، الطويل الأمد ــ الذي يحتفر في القلب البشري مساريب مـن الغيظ وأخاديد .

قال له القبطي مخاطبا : " Îb) è‚ƒ%$ ÏM b& ?ä$ qb _Ÿ7#Ÿ Î'’$ DŒö JÙ rB$è‚ƒ%$ b&

?ä$ qb Ÿ`Ï$ B$ ÁA ïŸÅ$ Ÿüû "

فتلهم أن موسى كان قد اتخذ له في الحياة مسلكا يعرف به أنه رجل صـالح مصلح، لا يحب البغي والتجبر فهذا القبطي يذكره بهذا ويوري به، ويتهمـه بـأن

---

[1] ــ [القصص : 19] .

يخالف عما عرف عنه . يريد أن يكون جبارا لا مصلحا، بقتل النـــاس بـــدلا مـــن إصلاح ذات البين)) [1] .

7ـ وقال تعالى : " $#%ïÎ) šú ïÏ%©!$# bqä9ω»pgä† þ'Îû ÏM»tƒ#uä «!$# ÎŽötóÎ/ ?`»sÜù=ß™ öNßg9s?r& (uŽã9Ÿ2 $º)ø)tB

y‰YÏã «!$# y‰YÏãur šúïÏ%©!$# (#qãZtB#uä 4 y7Ï9ºx‹x. ßìt7ôÜtƒ ª!$# 4'n?tã Èe@à2 É=ù=s% 9Ž2y9s3tGãB 9‘$¬6y_

ÇÌÎÈ " [2] .

((فالذي وصفه السرف والكذب ــ لا ينفك عنهما ــ لا يهديه الله ولا يوفقه للخير، لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه وعرفه، فجزاؤه أن يعاقبه الله بأن يمنعـــه الهدى، ثم ذكر وصف المسرف الكذاب فقال " الذين يجادلون في آيـــات الله التـــي بينت الحق من الباطل، وصارت من شدة ظهورها بمنزلة الشمس للبـــصر، فهـــم يجادلون فيها على وضوحها، ليدفعوها ويبطلوها بغير حجـــة ولا برهـــان، وهـــذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله، فإنه من المحال أن يجادل بسلطان .

" uŽã9Ÿ2 " ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل، فالله أشد بغضا لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق والتصديق بالباطل ونسبه إليه، وهذه أمور يشتد بغض الله لها ولمن اتصف بها، وكذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشد المقت موافقة لربهم، وهؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شفاعة من مقتوه .

" šÏ9ºx‹x. " أي : كما طبع على قلوب آل فرعون، يطبع الله على كل قلب متكبر في نفسه على الحق برده وعلى الخلق باحتقارهم، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه (([3] .

8ـ وقال تعالى : " tA$s%ur ãAã_u‘ Ö`ÏB÷s•B ô`ÏiB ÉA#uä šcöqtãöÏù ÞOçFõ3tƒ ÿ¼çmuZ»yJƒÎ) šcqè=çGø)s?r& B`

¸x.u‘ br& tAqà)tƒ š'În1u‘ ª!$# " [1] .

---

[1] ــ قطب، تفسير الظلال ، ص2684 . مع بعض التصرف .

[2] ــ [غافر : 35] .

[3] ــ الزمخشري، تيسير الكريم الرحمن ، ص868 .

((أي : نحن أعلم بما يقولون لك مما يحزنك مـــن الأذى، وإذا كنـــا أعلـــم بذلك، فقد علمت كيف اعتناؤنا بك، ونصرنا لك على أعـــدائك، فليفـــرح قلبـــك ولتطمئن نفسك، ولتعلم أنا أرحم بك وأرأف بك من نفسك. فلم يبق لـــك إلا انتظـــار وعد الله والتأسي بأولي العزم من رسل الله، فما أنت مسلط عليهم إنما أنت منـــذر لهم ولهذا قال الله تعالى : " ‰Šãr $$/† `B ß‡#äãu«$# ë] ‹ù " .

والتذكير (هو) تذكير ما تقرر في العقول والفطر من محبة الخيـــر وإيثـــاره وفعله، ومن بغض الشر ومجانبته، وإنما يتذكر بالتذكير من يخاف وعيد))[2].

5.4.1 **العتو** : المدلول اللغوي لكلمة العتو: ((يقال عتا عتوا وعِتيا وعُتيا: استكبر وجاوز الحد فهو نوعان، والجمع عتاة وعتي. يقال (عتت الريح): جاوزت مقدار هبوها. (وعتى الشيء): انتهى. (عتا الشيخ): كبر وولى، وفي محكم التنزيل: " ô‰s% " /ø£M ÷ B` $$ 6Å9Î ä÷Fï$ ÈÏÇ "[3] .] أي: بلغت التيبس والجسادة في المفاصل والعظام كالعود القاحل أي اليابس][4]. (تعتى) : عصى ولم يطع . (والعاتي) : الجبار))[5] . قال الله تعالى : " r%$A $$%ïû W ¥ ö q ã _ ãb šc)9 $$â R$ 9wq éR& ßI$ Z$ãö "[6] .

((استكبروا: تعظموا، وعتوا : طغوا وقال مقاتل: عتوا غلو في القول، والعتو أشد الكفر وأفحش الظلم، وعتوهم طلبوا رؤية الله تعالى حتى يؤمنوا))[7].

---

[1] ــ [ق : 45] .
[2] ــ الزمخشري، تيسير الكريم الرحمن ، ج27 ، ص953 .
[3] ــ [مريم : 8] .
[4] ــ النيسابوري، الكشاف ، ج3 ، ص6 .
[5] ــ الزيات، وآخرون [المعجم الوسيط، ج2، ص820 .
[6] ــ [الفرقان : 21] .
[7] ــ البغوي، ص924.

((" #ŽöT. #qöqçã qöGãr " تجاوزوا الحد في الظلم، يقال: عتا علينا فلان. وقد وصف العتو بالكبير، فبالغ في إفراطه يعني أنهم لم يخسروا على هذا القول العظيم إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو)) [1].

وقال تعالى : " 'Îr ŠqßJ0 ÿ@Š¾ Ò@ NçL ?J-ãöqã(ÞcÞ4 m¨ür& ÇÎÈ öqGèù(ôã Bø& öN¿hÍ

{ 'ù ßgøN@9$# ÁÉ»èp)è rdNè ƒZàf ÇÍÍÈ " [2] .

((" öqGèù(ôã Bø& öN¿hÍ " أي : فاستكبروا عن امتثاله)) [3].

((أي : أعرضت عنه على وجه العتو والعناد)) [4].

وقال سبحانه : " r.Ÿû ` B ö%tƒèp ãGx ôã Bø& ‘În¡hÍ $ur'âßÎ#&ÎIÞ ¾$ùÛÙÖ $ùg»Z6tî$Ûù

im$|$X #‰y©‰© #rãr¤Y»gg$ #‹x$#/%ÀN ÇÑÈ ùùs$%r/A $dÍÍÞ b.r ÿ#`É»ã èp $dÍÍÞ

ä#ŽõG ÇÒÈ" [5] .

((أي : تمردت وطغت واستكبرت عن إتباع أمر الله ومتابعة رسله عتوا منكرا فظيعا ، فندموا حيث لا ينفع الندم)) [6].

((أي: وكأين من قرية عصت وطغت عن أمر ربها وأمر رسله)) [7].

6.4.1 **الظلم :** المدلول اللغوي لكلمة " الظلم " يقال : ظلم ظلما ومظلمة : وضع الشيء في غير محله (موضعه) .

---

[1] ــ النيسابوري، الكشاف، ج3 ، ص265 .

[2] ــ [سورة الذاريات : 43ــ 44] .

[3] ــ النيسابوري، الكشاف، ج4 ، ص406] .

[4] ــ النيسابوري، الكشاف، ج4 ، ص547 .

[5] ــ [الطلاق : 8 ــ 9] .

[6] ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (8 /155)] .

[7] ــ البغوي، تفسير البغوي ، ص1325 .

((وظلم يظلم ظلما فهو ظالم أي جائر، وعكسه عادل، وظلم بمعنى غصب. وظُلمة وظلام: من يظلم الناس وظُلامه وظُلامات اسم لما أُخذ ظلما، وظلوم وظالم للمذكر والمؤنث)) [1].

((وفي المثل: (من استرعى الذئب فقد ظلم) تضرب لمن يولي غير الأمير والجمع ظُلام وظَلَمة، والمفرد ظالم وظلام وظلوم. والظلمة المانعون أهل الحق حقوقهم. والأخيرة تقال للمذكر والمؤنث. تظالموا: أي ظلم بعضهم بعضا))2.

فمن الأوصاف الملازمة للطغاة في القرآن الكريم الظلم، حيث وصف به فرعون والنمرود وغيرهما. وحيث أن العدل هو أساس الملك، عليه تقوم الحضارة والرقي ماديا ومعنويا ، وتتحقق الغاية من خلق الإنسان، فقد حرم الله تعالى الظلم على نفسه وحرمه على العباد ليعمروا الأرض متعاونين متحابين ، لا يفضل أحدهم الآخر إلا بدرجة تقواه لخالقه جل في علاه .

ففي الحديث القدسي الذي رواه أبو ذر رضي الله عنه، عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم، عن جبريل ــ عليه السلام، عن الله تبارك وتعالى أنه قال: " يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي: إنكم الذين تخطئون بالليل والنهار، وأنا الذي أغفر الذنوب ولا أبالي فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي: كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد لم ينقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم ما سأل لم ينقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص البحر أن يُغمس المخيط فيه غمسة واحدة،

---

[1] ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، ص810 .

[2] ــ الزيات، وآخرون، المعجم الوسيط 583/2.

يا عبادي: إنما هي أعمالكم أحفظها عليكم، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه "[1] .

وقد ذكرت الحديث بأكمله، لأن المتأمل في هذا الحديث يجد أن الله سبحانه وتعالى لم يحرم طائعا ولا عاصيا، ولا مؤمنا ولا فاجرا من كرم عطائه، فإن العصاة والفجرة قد نالوا نصيبهم المقدور كاملا بلا نقص إمهالا من الله واستدراجا لميزان عدله فلم يظلمهم ربهم شيئا من نعيم الدنيا وزخرفها وزينتها فيأتون يوم القيامة وقد أخذوا حقوقهم كاملة ليس لهم على الله حجة. قال تعالى : " ôB ‡(qèÜã $B 4<Ĵ $ZBi‰%r

. [2] " ÇÌÈ #‹qè¶YB ¦$6d ¤ptè f ù @Jã

وحيث أن الظلم هو وضع الشيء في غير موضع، فهو من حيث المدلول أقل من الطغيان درجة لأن الطغيان زيادة الحد في الظلم، وحيث أن الجهل الديني قد انتشر، وحب الدنيا قد ملأ القلوب طمعا وجشعا، فافتتن الناس بها، فانخدعوا بزخارفها ومباهجها فتنافسوها وتكالبوا على جمعها وقد انتشر الظلم في جميع مناحي الحياة ولم يسلم منها إلا أتقى الأتقياء وأزهد العلماء وأقسط الحكام وولاة الأمور .

إن للظلم أنواع ثلاثة :

النوع الأول : ظلم الإنسان لربه وذلك بالكفر به وعدم القيام بحق عبوديته من قبل المخلوقين . قال تعالى : " tbrãÏÿ»3ø9$#ur bqßJÎ=»à9$# ÇËÎÍÈ " [3]

((لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها)) [4] . أو بالإشراك بالله وذلك بأن يجعلوا لله ندا يُعبد معه سواء أكان هذا الشريك حجرا أم شجرا أو شمسا أو قمرا أو نبيا أو شيخا أو نجما أو ملكا أو غير ذلك وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله

---

[1] ــ النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم باب تحريم الظلم، رقم 6737 دار الجميل / بيروت ، والترمذي رقم 2497] .

[2] ــ [الفرقان :23] .

[3] ــ [البقرة : 254] .

[4] ــ البغوي، تفسير البغوي ، 157 .

عزوجل قال الله تعالى: " ﴿bò $‡Ï ﴾ àÿ¬ó¨ ﴿ b&ç ô Ž8 ÎŠÎ¾ r¨ àÿ¬ó ﴿ B$ ß brŠ ‰ 7Ÿï ` Jï

،± $â " [1]. وقال تعالى : " ﴿ c ž$9 &Ž8 9Œ 9 àÖ ä ãÓ ÈÌÇ " [2] .

وقال سبحانه : " $to ÒÎ# +$ ‰Ÿ " {=, $9 ¡¡J »q° N ̈ $] ö Ú r _ è ‰ 9$ $à Ïè» Ã » M Ï

$9 Zq' ÈÐ$ ‰ Ÿ ï û . ãy ‡ r { ÎÏ ‡Î ⁄ ¨ è‰Ÿ ¨ c š ÈÌÇ " [3] .

((ومعنى يعدلون أنهم يساوون بينه وبين غيره في العبادة أو العدل بمعنى الميل أي يميلون عن عبادته إلى عبادة غيره)) [4] .

النوع الثاني: ظلم الإنسان نفسه وذلك باتباع الشهوات وإهمال الواجبات وتلويث نفسه بآثار أنواع الذنوب والكبائر والموبقات، قال جل شأنه: " rB$ ß=J ‡ $ ª! r9» Ÿ ‘ `

Ÿ2 ‰ Ÿ ¡ NåkR ¡ &ä Ž ⁄ âÂq c š ÈÌÇ " [5] .

النوع الثالث: ظلم الإنسان لغيره من عباد الله ومخلوقاته ولهذا النوع من الظلم أمثلة كثيرة منها :

قتل النفس المؤمنة بغير حق، قال تعالى: " rB `¨ ƒ ‰ ö G ù $ Bs Ÿ ÏB Y$ G è ‰ ÏJ # ù fù “ !# ät ½ç

_ g yZ Ÿ Où z »$ # ‰ Ï $ ¦Ž î r Î= Ÿ ª! $ ã ‹ øn Ï r 9è ‹s Z è ã & r ¼ $ ã t ‰ £ 9 ¼ ã t ‹# / $ ã ‹à J $ ÈÌÇ "[6].

((" rB `¨ ƒ ‰ ö G ù $ Bs Ÿ ÏB Y$ G è ‰ ÏJ # " بأن يقصد قتله بما يقتل غالبا عالما بإيمانه فجزاؤه جهنم يجزاها خالدا فيها وأبعده الله من رحمته)) [7].

---

[1] ــ [النساء : 48 والآية 116] .

[2] ــ [لقمان : 13] .

[3] ــ [الأنعام : 1] .

[4] ــ الجمل، [الفتوحات الإلهية، ج2 ، ص3] .

[5] ــ [النحل : 33] .

[6] ــ [النساء : 93] .

[7] ــ الجمل، الفتوحات الإلهية ، ج1 ، ص413 .

وقال تعالى : " ÇŒ)r #$#Jø¤ãö ?'Î ÇÎÈ ôMn=ÏFè% 5=R(d"'Ï ÇÊÈ ôMn=Ïè " [1] . وقال

رجل للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أي الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال: " أن تجعل لله ندا وقد خلقك " قال: ثم أي ؟ قال: " أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك " قال: ثم أي ؟ قال: " أن تزاني حليلة جارك " [2].

فأنزل الله تصديقها: "šúïÏ%©!$# Ÿw cqããô‰tƒ yìtB «!$# $·g»s9Î) tyz#uä Ÿwur šcqè=çFø)tƒ

}§øÿ¨Z9$# Ó ÉL©9$# tP§ym ª!$# žwÎ) Èd,ysø9$$Î/ Ÿwur šcqçR÷“tƒ 4 `tBur ö@yèøÿtƒ y7Ï9ºsŒ t,ù=tƒ YBrOr& ÇÏÑÈ "[3].

قال صاحب الظلال: ((والتحرج من قتل النفس ــ إلا بالحق ــ مفرق الطرق بين الحياة الاجتماعية الآمنة المطمئنة التي تحترم فيها الحياة الإنسانية ويقام لها وزن، وحياة الغابات التي لا يأمن فيها على نفسه أحد ولا يطمئن إلى عمل أو بناء)) [4].

قال الجمل في حاشيته : ((لا يقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها)) [5].

عن أبي بكره نُفيع بن الحارث الثقفي ــ رضي الله عنه ــ أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فــي النــار "، قلت: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال: " إنه كان حريصا على قتــل صاحبه"[6]. قال الحافظ في الفتح: ((هذا الوعيد لمن قاتل على عداوة دنيوية أو طلــب

---

[1] ــ [التكوير : 8ــ9] .

[2] ــ البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي، صحيح البخاري، [باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ،(ج8 ، ص8) رقم الحديث (6001)] .

[3] ــ [الفرقان:68] .

[4] ــ قطب، في ظلال القرآن ، ج19 ، ص2579 .

[5] ــ الجمل، الفتوحات الإلهية ، ج3 ، ص268 .

[6] ــ البخاري، صحيح البخاري، [متفق عليه، (ج1، ص15) رقم الحديث (31) باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ؛ ومسلم (ج4 ، ص2214) رقم الحديث (2888) باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما] .

ملك مثلا. فأما من قاتل أهل البغي أو دفع الصائل ، فقتل ، فلا يدخل في هذا الوعيد لأنه مأذون له في القتال شرعا)) [1].

((دفع الصائل: الدفاع الشرعي الخاص: هو واجب الإنسان في حماية نفسه أو نفس غيره، وحقه في حماية ماله أو مال غيره من كل اعتداء حال غير مشروع بالقوة اللازمة لدفع هذا الاعتداء يصطلح الفقهاء على تسمية الدفاع الشرعي الخاص بدفع الصائل، وعلى تسمية المعتدي صائلا والمعتدى عليه مصولاً عليه؛ والدفاع الشرعي الخاص سواء كان واجبا أو حقا مقصودا به دفع الاعتداء، وليس عقوبة عليه بدليل أن دفع الاعتداء فعلا لا يمنع من عقاب المعتدي على اعتدائه)) [2].

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ: " لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا " [3].

1ــ أكل أموال الناس وأخذها ظلما : قال الله عز وجل : " [illegible]
[illegible] " [4].

((أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل قال ابن عباس ــ رضي الله عنهما: يعني اليمين الباطله الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه ظلما)) [5].

---

[1] ــ [الفتح ، ج12 ، ص174] .

[2] ــ بليق، عز الدين، منهاج الصالحين ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت (1398هــ ، 1978م) ، نقلا عن الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، ج1، ص138 وما بعدها ؛ الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد المستصفى في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (1413هــ) تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي ، ج1 ، ص65ــ66] .

[3] ــ [رواه النسائي (ج2 ، ص284) رقم الحديث (3434) قال النسائي : قال أبو عبدالرحمن : إبراهيم بن المهاجر ليس بالقوي] .

[4] ــ [البقرة : 188] .

[5] ــ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج1، ص207] .

((قال ابن عباس: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة، فيجحد المال ويخاصم إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه ، وهو يعلم أنه آثم آكل الحرام)) [1].

2ــ روى البخاري في صحيحه عن خولة الأنصارية ــ رضي الله عنها ــ قالت:

إن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : " إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة " [2].

قال العلماء ــ رحمهم الله ــ : ويدخل في هذا الباب المكاس والخائن والسارق وآكل الرشوة وآكل مال اليتيم وآكل الربا . قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " لا يدخل الجنة صاحب مكس " [3].

قال في المعجم : ((مكس يمكس مكسا . فهو ماكس ، وماكس يماكس مماكسة .

1. مكس الشخص : جمع مال المكس .
2. مكس الشخص الضريبة : قدرها وجباها .
3. مكس الشحص في البيع : طلب التنقيص من الثمن .
4. المكاس : من يأخذ المكس من التجار .

((مكس جمعها مكوس: الضريبة التي يستوفيها الجمرك على البضائع المستوردة))[4].

---

[1] ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج1 ، ص207 .

[2] ــ البخاري، صحيح البخاري، [(ج4 ص85) رقم الحديث (3118) باب قول الله تعالى " فأن لله خمسه وللرسول "].

[3] ــ السجستاني، سنن ابي داود، (ج3 ، ص93) رقم الحديث (2939) باب في السعاية على الصدقة . أحمد (ج28، ص526) رقم الحديث (17294)].

[4] ــ مختار، أحمد عمر، و طعمه، صالح جواد، المعجم العربي الأساسي ، بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، (1408هــ ، 1988) .

المكس: الجباية، مَكَسَهَ يَمكُسه مُكسا، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية. والمكس: النقص ومنه أخذ المكاس لأنه يستنقص الثمن في البياعة [1].

((الرشوة: من المحابة، وهي الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء، فالراشي من يعطيه الذي يعينه على الباطل)) [2].

وقال تعالى : "bĵ $#ûïÏ%©!$# tbqè=à2ù'tƒ tAºuqøBr& 4'yJ»tGuŠø9$# $¸Jù=àß $yJ¯RÎ) tbqè=à2ù'tƒ 'Î

ÇÊÉÈ #ZŽÏèy™ šcöqn=óÁu‹y™ur #Y‘$tR öNÎgÏRqäÜç " [3] .

وقال جل وعلا: "Ÿwr& (#qç/tø)s? A$tB ÉOŠÏKuŠø9$# žwÎ) ÓÉL©9$$Î/ 'Ïd ß`|¡ômr& 4Ó®Lym x÷è=ö7tƒ

¼çn£‰ä©r& "[4]. قال تعالى : " 7ûr& ¨bÎ) Ÿ@ôyèø9$# šc%x. Zwqä«ó¡tB 4 öNæ)ù=/ßR N=ß ¼çn£‰ä©r&" [5]...

ÿwr 7ÿ %s? ß ‰ø9t ‰ÿ$@è9 “ £ôÅÑù ‰ø9$# %ÿè/ 7yÏ¯ #ÿÿ ÇÊÈ " [5] .

قال تعالى : " Î) žcÎ8$#ŽÅe³9$ 9ÿÿ ÞOŠÏàtã ÇÊÌÈ " [6] .

وقال جل شأنه : " $Br ß=J$%ã$# ª!$# r9»Å` 2Ÿ(#þqßJÎ=ør& bqßJÎ=ôàtƒ šcÈÉÌÈ " [7] .

وقولـه تعالى : " r™è<Ð$#ûïÏ%©!$# ß=(#þqßJn=sß £`Ñ(#þqßJn=sß ‰)Z5 4=)Z/ bqç7Î=s)Zƒ ÇËËÐÈ " [8] .

وأما الأحاديث : فعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : " من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين " [1].

---

[1] ــ محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، لسان العرب : دار صادر / بيروت،ج14 ، ص220.

[2] ــ بن منظور، لسان العرب ، ج14 ، ص322 .

[3] ــ [النساء : 10] .

[4] ــ [الأنعام : 152 ، الإسراء : 34] .

[5] ــ [الطلاق :1] .

[6] ــ [لقمان:13] .

[7] ــ [النحل:33] .

[8] ــ [الشعراء: 227] .

أما مماطلة من عليه حق : فعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " مطل الغني ظلم " [2] .

أما منع الأجير أجره من رب العمل فعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول لله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : قال الله تعالى : " ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حُرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره " [3] .

[1] ــ [متفق عليه] .

[2] ــ [متفق عليه] .

[3] ــ البخاري، صحيح البخاري، [(ج3 ، ص83) رقم (2227)] .

والظلم أنواع كثيرة منها :

1. إيذاء المسلمين وأخذ أموالهم بغير حق عن طريق الغش والاحتيال، وأكل أموال الناس وخاصة الأيتام بالباطل، وأكل الأمانات ظلما، ومنع الأجير أجرته، وشرب الخمور على أنواعها، وعقوق الوالدين ولعب القمار .
2. ترك أداء الصلوات الخمس ممن وجبت عليه .
3. أشد أنواع الظلم وأخطرها على الإطلاق فهو الكفر بجميع أنواعه؛ قال تعالى: " ÇËÎÍÈ bqßJÎ=»à9$# Nèd brãÏÿ»3ø9$#ur "[1] أي أن الكافرين بلغوا نهاية الظلم. ولما كان الكفر هو أعلى درجات الظلم وأكبره وأشده أطلق الله في القرآن العزيز " الظالمين " وأراد به الكافرين .

وقد قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " أنصر أخاك ظالما أو مظلوما. فقال رجل: أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره ؟ قال: تحجزه أو تمنعه الظلم فإن ذلك نصره"[2].

---

[1] ــ [البقرة : 254] .

[2] ــ البخاري، صحيح البخاري، [(ج9 ، ص22) رقم الحديث (6952)] .

الفصل الثاني

(أسباب ومخاطر الطغيان)

1.2 أسباب انتشار الطغيان والظلم :

إن للطغيان أسبابا متعددة بعضها أخلاقي سلوكي، وبعضها مادي محسوس، يمكن أن نجملها على النحو التالي :

1.1.2 الكفر بالله :

الكفر بالله هو عدم التصديق الجازم بأن لهذا الكون إلها يملكه ويملك كل ما فيه من مخلوقات بشر وجن وملائكة وحيوانات ونباتات وسماء وأرض وأجرام وكواكب إله حكيم في صنعه، عزيز في ملكه، منزه عن صفات الحوادث، منزه عن كل نقص ومتصف بكل كمال. إله قائم على كل نفس بما كسبت، رقيب على كل جارحة بما اجترحت، مطلع على ضمائر القلوب إذا هجست، وحسيب على الخواطر إذا اختلجت، والذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض تحركت أو سكنت، والمحاسب على النقير[1] والقطمير [2] والقليل والكثير من الأفعال وإن خفيت؛ قال تعالى: " r ãYÿ‰¢¼ B$ÿ ÏŠ&x$# óó É ÷ŵ ƒ$è=-3gŠ$]ăz ëq r ƒ$è=-Ð B$ Î † $#9Î`

Ÿwr 5=ô‘ Ÿwr ÇÚ ö‘F$#ÏM»Jè=à ’Î pŽ6ym Ÿwr ƒ$è=-3gŠ$ žwÎ) p%‘r `Ï B äÝ)ó¡ B$r Ì÷t7ø9$#

. [3] " ÇÎÈ &ûüÎB 5=»GÏ. ’Î žwÎ) C§Î$ƒ

---

[1] ــ ابن منظور ، (المعجم الوسيط؛ انظر لسان العرب) النقير: ثقب دقيق في القصرة [غلاف البذرة] يوجد في العادة في الطرف الأمامي للبذرة بالقرب من السرة ــ ويضرب به المثل في الشيء الضعيف (ص1222).

[2] ــ ابن منظور، (المعجم الوسيط ص 747، ولسان العرب ص 108، الجزء الخامس، المعجم العربي الأساسي. القطمير: الشيء الهين الحقير. يقال: ما أصبت منه قطميرا أو هو القشرة الرقيقة بين النواة والثمرة (ص998).

[3] ــ [سورة الأنعام : 59] .

متلبسا بهذا الاعتقاد الخاطئ، والوهم الكاذب، فإن الكافر يحرر نفسه من ربقة التعاليم السماوية والتشريعات الإلهية، ويعتق نفسه من الالتزام بالقيم والأخلاقيات والسلوكيات الدينية في معاملته لربه وخالقه، ومعاملة غيره من خلق، فهو لا يخشى عقابا عاجلا ولا عذابا آجلا يناله جزاء على طغيانه وعتوه .

قال تعالى : " ÇìÌÈ br‰ sø¢ «! $ÏM»ƒ$«Î ûüÏÍ»@9$£Å»9r š• Rqç¢É3ãÿ NåtÎù "

[1] . إن الكفر بالله ورسله يقود حتما إلى عدم الإيمان بأن هناك يوما معلوما لا يعلمه إلا الله وحده يسمى يوم الحساب، يجمع الله فيه الأولين والآخرين من خلقه فيسألهم عما فعلوا من خير أو شر، وعما نطقوا من لفظ، وعما طعموا من حلال أو حرام، فيجازى كل نفس ما كسبت من خير وما اكتسبت من إثم، ولا يظلم ربك أحدا .

وحيث أن هؤلاء الطغاة ينكرون ذلك كله وعلى رؤوس الأشهاد ويقولون إنما هي حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، فما لنا لا نفعل ما نريد وقد جعلنا ملوكا ومسؤولين، وصيرنا القدر أغنياء بيدنا الثروة، فمن حقنا أن نفعل بأموالنا ما نشاء بلا رقيب ولا حسيب. ومن العجيب أيضا أنه حينما يصيبهم الله ببعض عذابه العاجل يدعون أن ما حل بهم من فعل الطبيعة ذات الأطوار المتقلبة، وليس بفعل إله قادر مقتدر، عزيز جبار منتقم .

2.1.2 الاغترار بكثرة المال:

إن أول ما يقرره الإسلام اعتبار الأموال وما في الأرض من ثروة ومتعة، وما في السماء من طيور ونجوم وشموس وأقمار، ملكا لله وحده لا ينازعه فيه منازع .

---

[1] ـــ [الأنعام : 33] .

وفي ذلك تكرر في القرآن الكريم مثل هذه الآيات لتأكيد هذا المعنى وتقريره : " ﴿Ą ¼ãtã ã$9 ¡¡J»q°Ñ $$ öF Ų$ " [1] ؛ وقوله تعـــالى : " !ª B$ Î'$9 ¡¡J»q°Ñ rB$ Î' " [2] ؛ وقوله تعالى:" rB$ ÏãÎ N` B`ë`J7 ùÜ`$ «! " [3].

وقد جعل الله المال وسيلة لا غاية، فهو إحدى وسائل الخير في الحيـــاة، بـــه يتعامل الناس ويتبادلون السلع، وينفع بعضهم بعضا. فالمال خير إن استعمل وســـيلة للخير، وإلا كان شرا يؤدي إلى ضرر الناس. أما أنه خير فذلك حين يكون وســـيلة إلى التراحم وسد حاجة البائسين . وإقامة المجتمع على أسس متينـــة مـــن التعـــاون والتساند. وهذا عبر عنه في القرآن بالخير في مثل قوله تعـــالى : " äÍ= |æø Ñ ã Ĵ ŒÎ#

m ؘŽ ‰ n ä Ñ Nù J ö bÎ) ?•8 zöŽ# $ q¹ ö ١ Ŝ è qä ‰ Ç $ F ö • ÎĴ û $ J è r $) $ ã?' m

$ Ŝ B ÉÈ Ç " [4] .

قال المفسرون : إن المراد بالخير هنا هو المال ، لأنـــه هـــو الـــذي يمكـــن الإيصاء به وتقسيمه على الوالدين والأقربين [5] .

ويقول الله تعالى عن الإنسان : " rÎ)R ¼çµ ‾ 8 ÉÎ6 yJ ø $ Î ± 9‰ ƒ‰ ÇÈ " [6] .

وحين يكون المال وسيلة للخير يرغب الإسلام فيه ، ويحمد من يسعى إليه، بل يوجب طلبه والضرب في الأرض من أجله .

قال تعالى : " ùÍ# ŒÎ) ÏM ŠÅ Ò è% ä 9$ A ä = n 4 $ ß± F R$ ù ä Î û Ç ö $ F Î 'Ų ö F ä Ì N `ù ÛÑ ! $ «

$ G ö ä ó) $ @ ö . ÏV Ž # ö È ã $ Ŝ d Ç " [1] .

---

[1] ـــ [البقرة : 107] .

[2] ـــ [البقرة : 284] .

[3] ـــ [النحل : 53] .

[4] ـــ [البقرة : 180] .

[5] ـــ ابن كثير ، وانظر الجمل، الفتوحات الإلهية.

[6] ـــ [العاديات:8] .

وأما أنه شر فذلك حين يكون غاية في الحياة يقتتل الناس عليه، ويركبون الصعب والذلول في سبيله . حين يكون شهوة تذل له أعناق الرجال، وبهذا يكون بلاء على الناس وعلى الدولة وعلى الإنسانية .

قال تعالى : `ΐã' $Z-Ÿ Ä ãn ⋹$9≢ggº N Ï B ÆŠ$9Ÿ ¡ $ä ƒ$@6Žüû $ƒ$@)Y»Ü•Î

$@$B)Z Ü•ó B ÆŠ$@‰d Ë ƒ$@Ÿ ÒbÞ ƒ$@ ,ø@ƒ$@B ¡ §B þ $ƒ[ÆRè»Ö ƒ$@ sö ^Ï Œ°ÿ •š BF»ß

. [2] " $@ s ¢ó$9‰%R‹$

ولما كان المال وسيلة للخير وأن المالك الحقيقي له هو الله عز وجل، فإن تملك المال وظيفة اجتماعية وأن الإنسان مؤتمن عليه ينفقه فيما ينفعه وينفع الناس، فلا يسرف في الإنفاق فيبدد المال على ملذاته، ولما ينشأ عن ذلك من فساد أخلاق المترفين وإشاعة الفاحشة والفساد في المجتمع، وما تزال الطبقة المترفة في كل أمة مبعث التحلل الأخلاقي، في سبيل كل دعوة إصلاحية تتوخى إنقاذ المجتمع من بؤسه وانحطاطه وتأخره .

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الطبقة ــ طبقة المترفين المسرفين ــ بما يثير الذم عليها ويدل على مزيد كراهيته لها. فهو يخبر أنها عدوة لكل إصلاح، محاربة لكل نبي وداعية ومصلح، تعتمد في محاربتها للإصلاح على أموالها وأعوانها، فيقول جل وعلا : " $Br $ZtÙ™ö' Î Ÿ`B ÎŽƒÉ‰tR @ÏiB 'π tƒös% Îû $uΖù=y™ö‘r& !$tΒuρ

. [3] " ÇÎÊ úüÎ/¤‹yèßϑÎ/ ßøtwΥ $Br #YŠ»s9÷ρr&uρ Zω≡uθøΒr& çŽsYò2r& ßøtwΥ (#θä9$s%uρ ÇÌÍ tβρãÏ≈x. ⎯ÏμÎ/ ΟçFù=Å™ö‘é&

ويصف المترفين بالظالمين والمجرمين بقوله : " $B (#θãèt7¨?$# t⎦⎪Ï%©!$# yìt7¨?$#uρ

. [4] " ÇÊÊÏÈ t⎦üÏΒÌøgèΧ (#θçΡ%x.uρ Ïμ‹Ïù (#θèùÌø?é&

---

[1] ــ [الجمعة:10] .

[2] ــ [آل عمران : 14] .

[3] ــ [سبأ : 34ــ 35] .

[4] ــ [هود : 116] .

ويتحدث عنهم بأنهم سبب هلاك الأمة ومبعث خراب الديار والأوطان .

قال تعـــالى : " $kŽöæ ¨; Ûù $kŽÏiû (qà)|¡ ÿù $kŽÏiŽø‹Î/ $R÷B& $uZø%u 7 Îô-b& $RŠ‘& #Œ)r

. [1] " ÇÏÈ #ŽÉBô‰s? $ygR÷B%‰ù Aöq)ø9$

وحيث تقررت حقيقة أن الله وحده هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقـــدره على من يشاء، وله الحكمة التامة والحجة البالغة في ذلك، فليس من حـــق الأثريـــاء الذين أعمى المال أبصارهم وبصائرهم بأن يطغوا ويتكبروا على

خلق الله بأموالهم ويتعالوا عليهم مدعين أن هذا المال وهذه الكنوز من صنع أيديهم وذكاء عقولهم معتقدين بأن امتلاكهم للمال سيخلدهم في هذه الدنيا الفانية، وأنه من حقهم أن يكنزوه متى شاءوا، أو أن ينفقون على ملذاتهم وشهواتهم الذاتية الدنيوية فقط، ويحرموا أهل الحقوق من فقراء ومساكين من زكاة أموالهم وصدقاتهم شحا وبخلا، أو اعتقادا أن ما يدفعونه لهم جزية وغرما، وقد حذرهم الله سبحانه وتعالى من كنز أموالهم وعدم إنفاقها في سبيل الله واجبا وطوعا . قال تعالى : "

. [2] " ïnŠÏ ûüÏ=ÏJ»Gó B /a=è_ $JÏB (qà)ÏÿR&r

وعن علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال: " إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ألا وإن الله عز وجل يحاسبهم يوم القيامة حسابا شديدا ثم يعذبهم عذابا أليما لم يروه "[3] .

---

[1] ــ [الإسراء : 16] .

[2] ــ [الحديد :7] .

[3] ــ الطبراني، المعجم الصغير ، 1985م، ج1/ص275 /ح453 دار عمار، بيروت .

وعن عبدالله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه "[1].

وضرب الله لهم الأمثال في قصة قارون حيث قال تعالى : " [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] "[2].

((لقد كان قارون من قوم موسى، فأتاه الله مالا كثيرا، يصور كثرته بأنه كنوز ، وبأن مفاتح هذه الكنوز تعيي المجموعة من أقوياء الرجال .

من أجل هذا بغى قارون على قومه، ولا يذكر فيم كان بغيه، ليدعه مجهولا يشمل شتى الصور. قال له قومه: لا تفرح وتغتر بكثرة المال فرح البطر الذي يُنسي المنعم بالمال.

" [illegible] " .

وبهذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم ، حيث يعلق قلب واجد المال بالآخرة، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة الدنيا، بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفا، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها .

---

[1] ــ الترمذي، سنن الترمذي كتاب (صفة القيامة) باب في (القيامة) (ج4) (ص612) رقم (2417) وقال : حديث حسن صحيح .

[2] ــ [القصص : 76ــ78] .

لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس، وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض. ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها، والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم، وتقبل لعطاياه، وانتفاع بها، فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى. وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتنافس في حياة الإنسان .

" `Åôn&r $JŸ2 ¡ôn&$`|$!ª Ïj)ø š• " .

فهذا المال هبة من الله وإحسان ، فليقابل بالإحسان فيه .

" Ÿwr ÆÖ?ø$$ÿ¡ Š$Î’$F ö Çµ " .

الفساد بالبغي والظلم ، والفساد بالمتاع المطلق من مراقبـــة الله ومراعـــاة الآخـــرة والفساد بملء صدور الناس بالجرح والحسد والبغضاء .

" Îb$©!$ Ÿw tä=Ås ÿ¬C$$Å‰ïû ÈÏ" .

فهو سبحانه لايحب الفرحين بتعاليهم على الناس والمتكبرين عليهم .

" A$%Ï) JR$éïr&çµ¼ã?4 ãÏèAã ‰Zÿ’ü " .

أي إنما أوتيت هذا المال استحقاقا على علمي وجهدي الخاص ، ومن ثم جاء التهديد قبل تمام الآية ردا على مقولته الفاجرة ؛" &r9Nè/ Nè=÷&c ž$$!© %!$& d=7 `B

%ïÏ¾B ÆE š$$)ãr=9ã Èô B èd q&©‰ ãÏçZèm r& 2ò•ãÏ $Ÿèd r ÿ•ÏçŸ@«óá `ã çŸiqÏÎg)ô

$$9%Éì• Ö q“ š c ÈÑÇ " .

فإن كان ذا قوة وذا مال، فقد أهلك الله من قبله أجيالا كانت أشد منـــه قـــوة وأكثر مالا، فليعلم هو وأمثاله من المجرمين أنهم أهون على الله حتى من أن يسألهم عن ذنوبهم، فليسوا هم الحكم ولا الأشهاد [1] .

---

[1] ــ قطب، ظلال القرآن، ج5 ، ص2710 ــ 2714 مع بعض التصرف .

3.1.2 تقاعس بعض العلماء (كعلماء السلطان)

وانحرافهم عن واجبهم في نشر العلم بين الناس وإسداء النـصيحة والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن العلماء ورثة الأنبياء، وحيث أن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما فقـد ورثوا العلم عوضا عنه. والعلماء هم أولوا الأمر الذين أمرنا الله عند التنـازع فـي أمر من أمور الدين أن نردها إليهم ليستنبطوا له حكما من شرع الله يتبعه المؤمنون فينفذون أمر الله. لذلك فقد حذر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من كتم العلم قائلا: " من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار " [1] .

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحـدث بـه كمثل الذي يكنز الكنز ثم لا ينفق منه " [2] .

ولهذا فإن كتم العلم عن الناس سبب في جهلهم وتجهيلهم، وحث لهـم علـى البعد عن طاعة الله عز وجل أو أداء عبادتهم على وجه لا يرضاه الله ولا رسـوله، وعدم معرفتهم بحقوقهم وحقوق ولاة الأمر والعلماء عليهم، فالجهل ظـلام وعمـى، ولا يجلى الظلام إلا نور العلم ولا يزيد العلم إلا
نور الإيمان ، فواجب العلماء عظيم وخطر تقصيرهم جسيم .

وكما حث الله تعالى ورسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على نشر العلم فقـد حثا على تعلمه أيضا، وجعلا ذلك سببا لعبادة الله عز وجل على أكمل وجه ومعرفة الحلال من الحرام، وطريقا صالحا ممهدا لعمارة الدنيا ماديا وأخلاقيا علـى أسـاس القسط والعدل والمساواة، ورتب على ذلك ثوابا عظيما وأجرا كبيرا، وفي ذلك أنزل الله جل وعلا آيات كثيرة تتلى تعظم العلم وأهله .

---

[1] ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل (ج13) ، (ص325) ، رقم (7943)] .

[2] ــ الطبراني، [المعجم الكبير (ج19) (ص131) ، رقم (304) ؛ قال الطبراني بعد هذا الحديث : لا يروى هذا الحديث عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد تفرد به : ابن لَهيعة . وضعفه البخاري ومسلم] .

حيث قال سبحانه وتعالى: [illegible]

[illegible] "[1]

وقال سبحانه وتعالى : " [illegible] "[2] .

وقال تعـــالى : " [illegible]

[illegible] "[3].

ثم اعلم أن الدعاة إلى الله وإلى ســبيله ودينـــه وطاعتــه وصــف الأنبيـــاء والمرسلين، به أمرهم وأوصاهم، وعلى ذلك اتبعهم واقتدى بهم ورثتهم من العلمـــاء العاملين والأولياء والصالحين، ولم يزالوا في كل زمان يدعون الناس إلى ســبيل الله وطاعته بأقوالهم وأفعالهم ولم يزالوا يسعون لابتغاء مرضاة الله، وشفقة على عباده، ورغبة في ثوابه، واقتداء برسوله. وقد قاست الأنبياء والمرسلون وأتباعهم من أئمـــة الحق والهدى من طوائف الجاهلين والمعرضين من الأذى أمرا عظيمـــا فـــصبروا واحتسبوا ولم يزدهم ذلك إلا حرصا على إرشادهم وهدايتهم إلى ســبيل الله تعـــالى ونصيحة الخلق أجمعين .

فعلى الدعاة إلى الله تعالى والعلماء بدينه أن يكونوا على نهاية مـــن الـــصبر والاحتمال وسعة الصدر ولين الجانب وحسن التأليف . فقد أمر الله تعـــالى أنبيـــاءه موسى وهارون عليهما السلام أن يأتيا فرعون الطاغية وأن يقولا له قولا لينا فيـــه الحكمة والموعظة الحسنة لعله يذكر أو يخشى .

قـــال تعـــالى : "[illegible]

[illegible] "[4].

---

[1] ـــ [العلق : 1ـــ 5] .

[2] ـــ [الزمر :9] .

[3] ـــ [آل عمران :18] .

[4] ـــ [طه : 42 ـــ 44] .

وحيث أنه قد غلب الجهل واستولى على كثير من الناس وذهــب بهــم كــل مذهب حتى صار الكثير منهم لا يعلم حقيقة دينه ومغزى حياته ويجهل حقيقة ذاتــه والتي منشؤها نطفة قذرة حقيرة ونهاية حياته الدنيوية جيفة نتنة وهو أعجز أن يدفع عن نفسه الموت والبلى . فليس له أن يتكبر فيها ، فقد قال الله تعالى علـــى لـــسان لقمان وهو يعظ ابنـــه : " bĵ $m•B ÇÚ öF{$'î Ä ð?ŸÂr Ä $Z÷) š, ﻻ{ ë|ÁèŸr

$Ö¤ ŸÂ ãt= äŸ@ ä= ß]ª FÐA ù Jãq9 ÈÇ " [1].

وقد انشغل الناس بأمور الدنيا ، واستغرقوا في جمعها والتلذذ بشهواتها وفـــي مثل هؤلاء يقول الله تعـــالى : " ƒ=-Bbq ß»ŷ# Ë`$ø tÎ$Ž9$%‰<$ šr Nèd ãÇ$F Ï•Å ô Ðã

î»Ÿ bqè ÈÇ " [2] .

فصارت تلك بلية عظيمة عم ضررها الجاهل والعالم ، والعام والخاص؛ فأما ضرر الجاهل بها فلأنه قد فرط فيما فرضه الله عليه من معرفة دينه وتعلم أحكامه، ولا شك أن إهمال ذلك من المصائب الدينية التي تجلب المصائب الدنيوية والأخروية .

وأما ضرر العالم بها فلتقصيره في الدعوة إلى سبيل الله وتقاعسه عن تعلـــيم الناس ما يجهلونه من أحكام دينهم ونصيحتهم، مع مشاهدة تلبسهم بارتكاب المنهيات وترك المأمورات بلا مانع يمنعه من ردعهم وردهم إلى الحق وتعليمهم ما هو مـــن الدين وما هو ليس منه كما هو شأن العلماء العاملين والذين يقولون الحق ولا تأخذهم في الله لومة لائم، وذلك أخذا من عموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فلولا أن تعليم الجاهل واجب على العالم، ما كان الويل له في السكوت عنـــه وفي ترك تعليمه، والله تعالى لا يؤاخذ بترك التطوع، وإنما يؤاخذ بترك الفـــرائض

---

[1] ـــ [لقمان : 18] .

[2] ـــ [الروم :7] .

والواجبات، وليس هذا خاصا بالمتبحرين في العلوم كما قد يتوهم، بل هو عام يشمل كل من علم مسألة واحدة من مسائل الدين بشرط أن يحسن تعلمها؛ قال الله تعـــالى :

" 7 ÿ‰Œ Of•B Ç‰$Ó¤Šãr Š¼ã#Š È$¡ÿ 4?ã ÿ‰ƒàÅŽó Ĵ û_ Í/ .`Ö {rãyŸ2 ûïÏ%©!$šÆE Ìëá'

ÿqèù 9 6 ŸB `ã šc öd$ZK ƒ ÿ {q$Ÿ2 ÇÌÈ šc r‰Fèƒ {q$Ÿ2 ï {q Á ã $JÎ

ÿ9 [š $B {q$Ÿ2 qèÿƒ šc ÇÎÈ "[1] .

فكان استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر . قال الله تعـــالى : " ŸŸöq‰ù

ô‰B Wš‰ žv} Ç‰ öF$'Î Š$¡ÿ‰$Çã šc öK}ƒ ƒšÉ/ {qãréÑ‰à‰ `Ö Èrã‰$`Ö b%.

ÓŠB $ZŠgU& " [2] .

فبين أنه أهلك جميعهم إلا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفـــساد فـــي الأرض.

وقـــال تعـــــالى : " ÇÌÈ $ZŠ=ù {qÝS $B {rã‰2 ÿinÎ $ZŠgU& ûïÏ%©!$ öK}ƒ šc Çã$9 ¡ôà‰

{ &r ûïÏ%©!$Rô šú ß=B {q Îè ‹ # ¥ /šs šß ÎJ$.{q Ýÿƒ qà šc ÇÌÈ " [3] .

وقال ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان " [4]؛ فالتغير باليد فعـــل الولاة ومن في حكمهم، وباللسان فعل العلماء، وبالقلب فعل ضعفاء العامة .

وعن أم المؤمنين أم الحكم زينب بنت جحش ـــ رضي الله عنها ـــ أن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ دخل فزعا يقول : " لا إله إلا الله ، ويلٌ للعرب مـــن شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج مثل هذا " وحلق بأصبعيه الإبهام والتـــي

---

[1] ـــ [المائدة : 78ـــ79] .

[2] ـــ [هود :116] .

[3] ـــ [الأعراف : 165] .

[4] ـــ [مسلم باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (ج1) (ص69) رقم الحديث (49)] .

تليها . فقلت يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : " نعم إذا كثر الخبث " [1]
.

وفي الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كثر الصالحون، ففيه بيان شؤم المعصية ، والتحريض على إنكارها .

واعلم أنه كما يجب على الإنسان أن ينهى غيره عن المنكر فإنه يجب عليه أن ينهى نفسه عنه بالأولى [ولا يكون كرجل ترى تحت ثوبه حيات وعقارب أقبلت عليه لتهلكه ، فأخذ المروحة ليدفع الذباب عن وجه غيره]، وإنما يؤثر نهيه إذا كان غير مرتكب له .

4.1.2 الاغترار بالعلم المادي أو العلم الشرعي الذي لم يسبقه رحمة الله .

هل يمكن لأهل العلم أو ممن اتصفوا به أن يكونوا من المغرورين ؟

إن الإجابة هي : نعم ، وبكل تأكيـــد . قـــال الله تعـــالى: " ‹ ƒB$ÇB |Mƒä•ù&

ãq»±ïî ¾ÍÎÇ / 4?ã ®è_r ¾ÏmîÏr ¾ÏmÎè¿ 4?ã Lêzr Ðù¾ 4?ã ª! $ãÎ©Ê &r ç1qd ¼çg»9Ï

Çíè br&ã©x ? Ÿxù& 4« $Ï‰è/ .`B ÏmƒÏ‰ök `Jù " [2] .

وقال عز وجل مادحا عبدا مـــن عبـــاده : " `qù #‰ôã #‰6ã ôÏB $RÏ$6ã #?•Y»ç

ÇîÎÈ $Vϑù $RÏ‰©`B ç»Y‹=ær $RÏ‰Zã ôÏB ãJôm‘ " [3] .

يقول الغزالي : ((إن من أهل العلم ممن أحكموا العلوم الـــشرعية والعقليـــة وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصـــي وإلزامهـــا الطاعات، واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم بلغوا من العلم مبلغـــا لا يعذب الله مثلهم، بل يقبل في الخلق شفاعتهم، وأنه لا يطالبهم بـــذنوبهم وخطايـــاهم

---

[1] ـــ البخاري، تفسير البخاري، [(ج4) (ص138) رقم (3346) ؛ مسلم (ج4) (ص2208) رقم (2880)] .
[2] ـــ [الجاثية :23] .
[3] ـــ [الكهف : 65] .

لكرامتهم على الله وهم مغرورون، فإنهم لو نظروا بعين البصيرة لعلمـــوا أن العلـــم علمان: علم معاملة، وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى علم المعرفة .

فعلم المعاملة كمعرفة الحلال والحرام، ومعرفة أخـــلاق الـــنفس المذمومـــة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها، فهي علوم لا تراد إلا للعمل، ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة، وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمـــل)) .[1] وقال بعض المفسرين : ((الرحمة هي النبوة)) .[2]

وقال بعضهم : ((أي أعطاه الله رحمة خاصة، بها زاد علمه وحسن عمله)) .[3]

قال تعالى : " $P‎þB ŽãŸ2 ÇÌÈ bqè‎ÿ? ŵ $B šc qä‎)‎? Nö ‎(qãZB#ä ûïÏ%$!$ k‎š»‎ƒ‎ "

$‎%ƒŸã b& «! $B (qä‎)‎? ŵ $B šc qè‎ÿ? ÇÌÈ šc " [4] .

فالفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها، وأحكم علـــى المعاصـــي ولـــم يتجنبها، وأحكم على الأخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها، وأحكم على الأخـــلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور؛ إذ قال الله تعالى:" %‎ö ‎ä=z x` B ‎`$g8©- ÇÒÈ "

.[5] وإذا قعد العالم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد شارك بالطغيان .

* قال تعالى عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

5. "$šã ‎4<Î ™‎@‎‎7‎ h‎ 7 ‎#tö‎J‎ þ J‎#ö‎ä‎à þ ‎$t ¡ Z þ r_ ‎»‎ %‎ OG ‎$‎#Ó ‎d ‘

ö‎n ¡ ß ‎b ‘ 7 ‎dq ã=Ð ‎J` Ê@‎ ã` ™‎<‎‎#¼ r‎dq ã=Ð ‎$‎3©‎G ‎%‎ïû ÈÎÇ

".[6]

---

[1] ــ للغزالي، إحياء علوم الدين ، ج3 ، ص 531ــ532] .

[2] ــ الأشقر، زبدة التفاسير، ص301 .

[3] ــ الزمحشري، اتيسير الكريم الرحمن ، ص560 ؛ وانظر الجمل، حاشية الفتوحات الإلهية، ص53 .

[4] ــ [الصف : 2ــ3] .

[5] ــ [الشمس : 9] .

[6] ــ [النحل : 125] .

التفسير: ((أي ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح، كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبولـــه وانقياده .

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب ألـــى الأذهان والفهم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المقرون بالترغيب والترهيب .

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها والنواهي فـــي المـــضار وتعدادها وأما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به، وإما بذكر ما أعـــد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل. فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعيه إلى الباطل ، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعـــى لاستجابته عقلا ونقلا)) [1].

6. "ôBr ô`n& ß¡ ßZöq% `£JiB !$tã« ’n<Î) «!$# Ÿ@ÏJtãur $[sÎ=»|¹ tA$s%ur ÓÍ_¯RÎ) z`ÏB tûüÏJÎ=ó¡ßJø9$# ÇÌÌÈ " .[2]

7. " `ä3tFø9ur öNä3YiB ×p¨Bé& šcqããô‰tƒ ’n<Î) Îöy‚ø9$# tbrâßDù'tƒur Å$rã÷èyJø9$$Î/ šcöqyg÷Ztƒur Ç`tã Ìs3YßJø9$# 4 y7Í´¯»s9'ré&ur ãNèd šcqßsÎ=øÿßJø9$# ÇÊÉÍÈ " .[3]

تفسير الآية : ((أي لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم والمتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به، فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية للأعداء وعز للإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلـــى الخيـــر ، وسائلها ومقاصدها، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة

---

[1] ــ الزمحشري، تيسير الكريم الرحمن ، ج14 / ص525 .

[2] ــ [فصلت : 33] .

[3] ــ [آل عمران : 104] .

للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين، ولهذا قال تعالى عنهم : " ÇííÈ šc qßsÎîþÿ3Ø ßJø9$# ãNèd 7Í»¯9'ré& "[1]

الفائزون بالمطلوب الناجون من المرهوب))[2].

في هذه الآية دليل على وجوب الأمر والنهي ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة وهو من أعظم واجبات الشريعة وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها، وأنهما الفردان الكاملان من الخير الذي أمر الله تعالى به عباده بالدعاء إليه . فقد قال الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا "[3].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل النصيحة لولاة الأمر وعامة الناس، أقوياؤهم وضعفاؤهم لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " الدين النصيحة . قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم "[4].

5.1.2 حب الدنيا والاغترار بها :

فحب الدنيا والاغترار بها من هوى النفس ووسوسة الشيطان ، فالطريق إلى سعادة الآخرة لايكون إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات، وإن من أعظمها وأخطرها على الإنسان تعلق قلبه بالدنيا تعلقا يتجاوز حدود المعقول، فتصبح غاية في حد ذاتها وليست وسيلة تعين الإنسان على التقرب من الله ــ عز وجل ــ وتدبير شؤون حياته بلا تقتير ولا إسراف، فلن يحصل المرء على الثواب إلا حينما تتعلق

---

[1] ــ [آل عمران : 104] .

[2] ــ الزمخشري، [تيسير الكريم الرحمن ، ج4 ، ص150] .

[3] ــ [أبي داود (ج4) (ص331) رقم (4611) ، أحمد (ج15) (ص83) رقم (9160) ، الترمذي (ج5) (ص43) رقم (2674) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح] .

[4] ــ [مسلم باب بيان أن الدين النصيحة (ج1) (ص74) رقم (55)] .

رغبته في تخليص نفسه من آفاتها وتطهيرها من أدناسها، وتنقيتهـــا مـــن شـــوائب الغرور والأطماع، وأن يملأ قلبه حبا لله وطمعا في رحمته ونيل رضاه، وذلك بـــأن يخلص في أداء الأعمال، عبادات كانت أم معاملات .

يقول الغزالي ــ رحمه الله ــ : قال بعض الحكماء: من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها، محصورا في سجن هواها، مقهورا مغلولا زمامه في يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد [1].

ويقول الله جل وعلا متحدثا عـــن الـــشهوات : " [illegible] " [2].

يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النـــساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد ، كما ثبت في الصحيح أنه ـــ صـــلى الله عليه وسلم ــ قال: " ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء " [3]. فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه، مندوب إليه كما في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة " [4].

وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة فهو داخل في هذا ، وتـــارة يكـــون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ممن يعبـــد الله وحـــده لا شريك له، فهذا محمود ممدوح [5] .

---

[1] ــ الغزالي، [إحياء علوم الدين ، ج3 ، ص93] .

[2] ــ [آل عمران : 14] .

[3] ــ الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى، الناشر مكتبة الرشـــد ســـنة النشر 1422هـ - 2001م مكان النشر السعودية/ الرياض (6 /95)] .

[4] ــ الطبراني، [المعجم الأوسط (8 /281)] .

[5] ــ ابن كثير [تفسير القرآن العظيم ، ج1 ــ ص313، 314 .

وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن .أما في تفسير أبـــي الـــسعود قال: (("زين للناس " كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها وتزهيد للناس فيها وتوجيه لرغباتهم إلى ما عنده تعالى إثر بيان عدم نفعها للكفـــرة الذين كانوا يتعززون بها، والمراد بالناس الجنس .

" حب الشهوات " الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات، عبر عنها بالشهوات مبالغة كونها مشتهاة مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات وإيـــذانا بأنه حبها بحيث أحبوا شهواتها كما في قوله تعالى :

" þÎn6ysø9$# ¨=ãm àMö6t7ômr& þÎoTÎ) " [1] ، أو استرذالا لهـــا فـــإن الـــشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم . والمزين هو الباري سبحانه وتعـــالى إذ هـــو الخالق لجميع الأفعال والدواعي ، والحكمة في ذلك ابتلاؤهم .

قال تعـــالى : " $¯RÎ) $uZù=yèy_ $tB n?tã ÇÚöF{$# ZpoYƒÎ— $ol°; öNèdqè=ö7oYÏ9 öNåkš‰r& ß|¡ômr& WxJtã ÇÑÈ " [2]، فإنها درب لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة إلى بقاء النوع، وإيثار صيغة المبني للمفعول للجري على ســـنن الكبريـــاء، وقرئ على البناء للفاعل. وقيل المزين هو الشيطان بما أن مساق الآية الكريمة على ذمها. وفرق الجبائي بين المباحات وأسند تزينها إليه تعالى، وبين المحرمات فنـــسب تزينها إلى الشيطان .

" من النساء والبنين " : قيل من لبيان الجنس وتقديم النـــساء علـــى البنـــين لعراقتهن في معنى الشهوة)) [3].

فقد وضحت الآية أن الشهوات ستة أمور أولاها النساء لأن الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم ، ولأنهن حبائل الشيطان وأقرب إلى الافتتان فقد قال ــ صـــلى

---

[1] ــ [ص:32] .

[2] ــ [الكهف : 7] .

3 ــ الحنفي، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ج2) (ص14) .

الله عليه وسلم ــ : " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء " [1].

وقيل فيهن فتنتان، وفي البنين فتنة واحدة ؛ فالنساء اللواتي لايتقين الله يقطعن الأرحام والصلات بين الأهل غالبا، وهن سبب في جمع المال من حـــلال وحـــرام؛ والأولاد تجمع لأهلهم الأموال فلذلك ثنى بالبنين . وفي الحديث قال ــــ صـــلى الله عليه وسلم ــ: " ما تركت بعدي فتنة أضر على أمتي من النساء على الرجال" [2].

ولأنهم فروع من النساء وثمرات نشأن عنهن. وفي كلامهم المـــرء مفتـــون بولده، وقدموا على الأموال لأنهم أحب إلى المرء من ماله، وخص البنـــون بالـــذكر دون البنات لأن حب الولد الذكر أكثر من حب الأنثى يساند والده ويعـــضده ويقـــوم مقامه[3].

وهكذا فإن أعظم الشهوات هي شهوة النساء، فهذه الشهوة أيضا لهـــا إفـــراط وتفريط واعتدال، فالإفراط هو عين الطغيان، فإنه كل ما يقهر العبد حتى يـــصرف همة الرجال على الاستمتاع بالنساء والجواري، فيحرم عن سلوك طريق الآخرة، أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش، حيث قد تنتهـــي هـــذه الـــشهوة بـــبعض الضُلال إلى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع، وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم، لأن المتعشق ليس يقنع بإراقة شهوة الوقاع وهي أقبح الشهوات وأجدرُها أن يستحي منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضي إلا من محل واحد، والبهيمة تقضي الشهوة أينما اتفق فتكتفي به؛ وهذا لا يكتفي إلا بشخص واحد معين حتى يزداد بـــه ذلا إلى ذل وعبودية إلى عبودية، وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة؛ وقـــد خلـــق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لأجلها، وما العشق إلا ســـعة إفـــراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له. وإنما يجب الاحتراز مـــن أوائلـــه بتـــرك

---

[1] ــ البخاري، صحيح البخاري، [باب الزكاة على الأقارب (ج2) (ص120) رقم (1462)] .

[2] ــ العسقلاني، ابن حجر ([إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي المتوفى : 852هـــ) الناشـــر : دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب - [دمشق - بيروت] (1 /239) رقم الحديث 98] .

[3] ــ الجمل، [الفتوحات الإلهية ، ج1، ص249] .

معاودة النظر والفكر، وإلا فإذا استحكم عسر دفعه ، وكذلك عـشق المـال والجـاه والعقار والأولاد .

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنـة بني إسرائيل كانت في النساء " [1].

أما الشهوة الثالثة فهي القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والمقصود منها الأموال الكثيرة المجمعة من الفضة والذهب .إن المرء إذا افتتن بالمال فامتلأ قلبـه حبا للمال، عميت بصيرته وضل عن طريق الهدى فسعى لجمع المال بكل ما أوتـي من جهد وحصر فكره وسخر كل قدراته العقلية التي وهبه الله إياها لجمـع المـال سواء أكان ذلك من طريق حلال أو طريق حرام .

فقد يلجأ إلى النصب والاحتيال والغش والخديعة ولعـب القمـار والـسرقة والرشوة وأكل الربا وكل الوسائل المتاحة غير المشروعة؛ وهذا هو عين الطغيـان المالي من جهة الحصول على المال. أما من جهة الإنفـاق فـإن أغلـب الأثريـاء الموسرين يتفننون في إنفاق أموالهم فسادا وإفسادا، فهم لا يبالون كـم أنفقـوا مـن الأموال في سبيل الحصول على شهوة فرج محرمة وارتكاب كبيرة الزنا، وارتكاب جريمة شرب الخمر، أو دفع الرشاوى لبعض القضاة لأكل أموال الناس بالباطل وهم يعلمون، أما إنفاق المال في وجوه الخير كصلة الأرحام، أو دفع الزكوات والصدقات لمستحقيها فهم أكثر الناس بخلاً وشحاً، وقد يصل الأمر ببعضهم إلى إنفـاق المـال على الخلان والأصحاب بلا حدود أو حساب ويحرم أهل بيته وأسرته مـن كرمـه وعطائه، وهذا جانب آخر في الطغيان المالي من جهة الإنفاق .

وقد ذم الله تعالى الأثرياء المفسدين واعتبرهم سببا في إهلاك أممهـم بقولـه تعال: "$g»RèB%ù Aö)`ø$$kŽè ;Ûù $kŽÏù (#qà)|¡ xÿù $kŽÏùŽIB $RèB& $ƒÏè% 7ÏŠö-b& $Rš‘& #Œ)r" ÇÊÏÈ #ZŽÏBô? " [1].

---

[1] ــ [صحيح مسلم : باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (ج4) (ص2098) رقم (2742)] .

وذم الله الحياة الــدنيا بقولـــه : " ùXÿ ?äŠR 6àN$Šä4$9‰R<$ rvẄ fäŠR 6àN

$! <$Šö6ãrâ ÈÌÇ " .[2]

والتكبر بالمال قد يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بــضائعهم وبين المزارعين في أراضيهم وزروعهم وبين المتجملين فـــي لباســـهم ومـــراكبهم، فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه فقد يقول له: إني أنفق في اليوم ما لا تأكلـــه فـــي سنة! وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر، وكل ذلك جهلا منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى، وإليه الإشارة بقوله تعالى : " ùA$)A ï ÁÅ ÎïnÏ¾ r dèq ät$ áâçy ®R$ ø&ÿç BZ7

B$W r&ã“ RÿŠ# ÈÍÇ " [3] .

أما الشهوة الرابعة فهي حب الخيل المسومة، وفي الخيل قولان: (أنه جمـــع لا واحد له بل مفرده فرس فهو نظير قوم ورهط ونساء؛ والقول الثاني أن واحـــده " خائل " فهو نظير راكب وطائر وطير وفي هذا خـــلاف بـــين ســـيبويه والأخفـــش، فسيبويه يجعلها اسم جمع والأخفش يجعلها جمع تكسير، وفـــي اشـــتقاقها وجهـــان: أحدهما من الاختيال وهو العجب، سميت بذلك لاختيالها في مشيتها بطول أذنابهـــا، والثاني من التخيل قيل لأن المختال يتخيل في صورة من هو أعظم منـــه كبـــرا [4].

والخامس هو الأنعام: وهي جمع نعم ، والنعم اسم جمع لا واحد له من لفظه وهـــو يذكر ويطلق على الإبل والبقر والغنم وجمعه على أنعام باعتبار أنواعه الثلاثة [5] .

أما السادس فهو الحرث: فهو مصدر بمعنى المفعول أي المحروث والمـــراد به المزروع، والزرع أي المزروع سواء كان حبوبا أم بقلا أم ثمرا ولم يجمع كمـــا جمعت أخواته نظرا لأصله وهو المصدر، وكل هذه المتع والشهوات يُتمتع بما فيهـــا

---

[1] ـــ [الإسراء: 16] .
[2] ـــ [لقمان: 33] .
[3] ـــ [الكهف: 34] .
[4] ـــ الجمل، [الفتوحات الإلهية ج1، ص249] .
[5] ـــ الجمل، [الفتوحات الإلهية ؛ ج1 ، ص250] .

ثم يفنى فلا فائدة، إن ما عند الله من جنان خالده فهي المئاب الحـــسن وفـــي ذلـــك ترغيب في الجنة وتزهيد في غيرها .

فمن جهل الدنيا وحقيقتها اغتر بها وبنعيمها فكانت سببا في طغيانه وظلمه.

2.2 مخاطر الطغيان وآثاره على الفرد والمجتمع .

إن الظلم والطغيان لا يبقى معه ملك ولا تبقى معه حضارة ، والعدل يدوم معه الملك وتزيد فيه الحضارة ، قال تعالى : " $Br b%Ÿ2 /‘ š• ïôgã š• $Ïß)à9$# 3’ "

ÇÊÊÐÈ šc qßsÎ=óÁãB $ygè=÷dr&ur " [1].

يقول الإمام الرازي ــ رحمه الله ــ [2] : والمعنى أن الله تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين إذا كانوا مصلحين في المعاملات .

وقال الإمام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : ((إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة)) [3]،[4].

ولهذا قيل : الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام .

إن الله تعالى توعد الظالمين بعذاب أليم في الدارين، وهذا هو عزاء المظلومين، فكل من ظلم عزاؤه في وعيد الله عز وجل بالظلمة؛ أما في الدنيا فإن الظالم لا يفلح في دنياه، فمن سلك طريق الظلم فإن بابه في النهاية مغلق، قال الله تعالى: " ¼çRÎ) ŵãÎoy‚ ßì9#@à»Î=©à9$# Ÿbqßsè=øÿã ÇËÊÈ " [5].

---

[1] ــ هود :117] .

[2] ــ الرازي هو الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ولد في الخامس والعــشرين مــن شــهر رمضان سنة 544هــ ، كانت له يد طولى في الوعظ باللسنين العربي والفارسي ، كان من أهل التــصوف ذكره ابن الأثير في الكامل (625/9) وذكره الذهبي في السير وقال عنه العلامة الكبير ذو الفتــون مــن تصانيفه تفسير القرآن الكريم ، نهاية العقول في دراسة الأصول ، الملخص ، لابن سينا، شرح عيون الحكة ، وكتاب الإشارة في أصول الكلام] .

[3] ــ ابن تيمية، هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله تقي الدين أبي العباس العامري المشهور بــشيخ الإسلام ؛ من كتبه : فتاوى بن تيمية ومناهج السنة النبوية في نقد الشيعة والقدرية] .

[4] ــ ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ، فصل في الأمر بالمعروف والنهي عــن المنكــر (ج28) (ص146) ، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي] .

[5] ــ [الأنعام :21] .

وقد يحرم الظالم من هداية التوفيق أيضا ، قال الله تعالى : " ÷bÎ*ù

" 9Ìt±ÎÅù#qç7Éf$tFó¡o óO©9 bÎ*sù öNßgusä!#uq÷dr& tbqãèÎ7®Kt $yJ¯Rr& öNn=÷æ$$sù öNßgusä!#uq÷dr& ìÎ6®?$# Ç`£JÏB @|Êr& ô`tBur 3 «!$# z`ÏiB "Wèd ÎöótÎ/ çm1uqyd

. [1] " tûüÏJÎ=»©à9$# tPöqs)ø9$# "Ïöku Ÿw ©!$# ¨bÎ)

((أي: فإن لم يأتوا بكتاب أهدى منهما، فاعلم أن تركهم إتباعك، ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، ولا إلى هدى، وإنما ذلك مجرد إتباع لأهوائهم.

فهذا من أضل الناس، حيث عرض عليه الهدى والصراط المستقيم الموصل إلى الله وإلى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يُقبل عليه، ودعاه هداه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء، فاتبعه وترك الهدى فهل أحد أضل ممن هذا وصفه؟! ولكن ظلمه وعدوانه وعدم محبته للحق، هو الذي أوجب له أن يبقى على ضلاله ولا يهديه الله، ولهذا قال الله تعالى : " ¨bÎ) ©!$# Ÿw "Ïöku tPöqs)ø9$#

tûüÏJÎ=»©à9$#"))[2].

وقال تعالى : " ãNåkøEx‹s{r'sù èpysøŠ¢Á9$# Èd,ysø9$$Î/ öNßg»oYù=yèyfsù [ä!$sWäî 4 #Y‰÷èç6sù ÏQöqs)ù=Ïj9

tûüÏJÎ=»©à9$#"[3]

((أي: فأخذتهم الصيحة بالحق لا بالظلم والجور، بل بالعدل وبظلمهم، أخذتهم الصيحة فأهلكتهم عن آخرهم)) [4].

الظلم والطغيان سبب لمصائب الدنيا من أوجاع وأسقام وفقر وذهاب الأولاد والأموال والقتل والتعذيب وغلاء الأسعار وغيرها. إن ما تعانيه الأمة اليوم هو بسبب وجود الظلم بما كسبت أيدي الناس ، يقول الله جل وعلا : " tyγsß ßŠ$|¡xÿø9$# ’Îû

---

[1] ــ [القصص :50] .

[2] ــ الزمحشري، تيسير الكريم الرحمن ، ج20/ ص724ــ725 .

[3] ــ [المؤمنون :41] .

[4] ــ الزمحشري، تيسير الكريم الرحمن ، ج18 ، ص 654 .

ã<#$Ǐ‌ßr b ŒÏ7 r9»Ã£ ¤ÏŸZdèÐ Ÿ ƒôç¢q b ÈÏÇ "[1] ، دون ذلك: أي قبل موتهم عقوبة شاملة للقرى الظالمة، عقوبة شاملة للمدن الظالمة، عقوبة شاملة للمجتمعات الظالمة .إذا انتشر الظلم والطغيان في مجتمع وجاهر أهله به وصار الصيغة العامة لهذا المجتمع هو الظلم فقد يعجل الله لهم العقوبة الشاملة التي لا يكاد يسلم منها أحد، بل تعم الصالح والطالح .

إهلاك الله تعالى للظالمين والطغاة في الدنيا وما أعده لهم من النكال والعذاب في الآخرة ، قال الله تعالى : " r.<ÿ •š ×{ä ‘ĥ7 Œ#×{ <$6ãä• 3' r‘Ĕ ‘ ß»Ĥ‌Þ ĵb

×{<çÿ ×ïŠÒ ©‰ƒ‰ ÈÇ "[2] .

لقد ذكر لنا ربنا تبارك وتعالى ما فعله بالقرى الظالمة فقال سبحانه : " r.N

%Á|ð$ Ÿ B` ö‌ƒþ .‰M‌Ö ß$¨J‌Ž r‌Ø$ ±Ù$ /è‰d$ ‌öB$ ä#z ‌ïú š ÈÇ "[3] ؛ وقال عزوجل : " ù3Ê‌ û B` ö‌ƒþ ×‌d=Ö»g$ r‌É‌ †š ß$J‌x ù‌g‌ ‘ {‌¼‌Í‌ƒþ ã?4 ã‌ër‌Ï‌g$ r‌Ï‌Ÿ

B‌èÖ#7 r‰Ç‌Ÿ B±Ï‌‰% ÈÎÇ "[4] .

ويقول جل وعلا : " r.É‌û B` ‌ö‌ƒþ ãG‌M ãô ×‌Dí ‌ƒ$ r‌â‌ß#‌¼ù Û$ù‌Ð» ‌Z‌g$

m‌Ï ¡$‌$ ©‰ƒ‌%# r‌ã‌Ÿ‌g$ ã<#$‌e‌Ò‌G# ÈÌÇ ù‌<#% ‌M r/$A ×‌D‌Ï‌d$ r.‌%b ã‌»‌ÉŠ‌è ×‌D‌Ï‌d$

ä‌z‌6‌Ž# ÈÇ "[5] . هذه بعض العقوبات الدنيوية .

---

[1] ـ [الطور :47] .

[2] ـ [هود :102] .

[3] ـ [الأنبياء :11] .

[4] ـ [الحج :45] .

[5] ـ [الطلاق : 8 ـ 9] .

أما في الآخرة فقد توعد الله الطغاة الظالمين باللعنة والعقاب الأليم، فقال جل وعلا : " ÿw& $pèZè9 «! $ '?ã «!$# èpuZ÷ès9 Ÿwr& ÇÊÑÈ " [1].

وقال تعـــالى : " R ãGø& $R6 %©!$# ûüÏJÎ»©à=Ï9 $R#‹&n% Þ ÙÍ ßŽ#Šè$g$ ru bÎ„ óGÉèŠè$q(

$è%óq$(Î Jä$ %G©ãŠè“ $ ©àqã qn ø[š$9 #Ž#Ï rÙ$™ä N© ã? ÿy)$ ÇËÒÈ " [2].

* إن هذا الظالم لن يكون له يوم القيامة نصير ولا شفيع ولا حمـــيم، يحـــرم الظلمة من شفاعة إمام المرسلين وشفاعة من يأذن الله لهم في الشفاعة لعباده، كمـــا قال تعالى: " B$ Ï=©à»Î ÏJÜüû ô`B qŠ5 rÿw ©ÿ‹8ä$ãÛ$ á ÇÊÑÈ " [3]. ويقول عز وجل : " rB$ Ï=©à»Î ÏJÜü úš ô`B R& Á$A ÇËÐÉÈ " [4].

* ومما يصيب الظلمة يوم القيامة أيضا الحسرة والندم، فكل ظـــالم ســـيندم هناك ولات ساعة منـــدم، قـــال تعـــالى : " r9qä b& Èe@à2 ¨ ryR Mß=J Ÿ$B Î’$ûF{ ÇÚ

wFšø%F¾ ÎnÍ $r& »'Èý$#pB 9$rFž $?$ä9' &ãF$è#< >$Ÿ÷Ö †šàà÷/ OŸ #¢ó ¢Å rß°è ÿw

ãä=Br ÇÎÍÈ " [5].

أي: ((ولو أن لكل نفس ظلمت بالكفر والمعاصي جميع ما في الأرض مـــن ذهب وفضة وغيرهما ، لتفتدي به من عذاب الله لافتدت به ولما نفعها ذلك ، وإنمـــا النفع والضر، والثواب والعقاب على الأعمال الصالحة والسيئة. وأسر الذين ظلموا " الندامة لما رأوا العذاب "، ندموا على ما قدموا، ولات حين مناص، وقـــضي بيـــنهم بالعدل التام الذي لا جور فيه بوجه من الوجوه)) [6].

---

1 ـــ [هود :18] .

2 ـــ [الكهف :29] .

3 ـــ [غافر :18] .

4 ـــ [البقرة :270] .

5 ـــ [يونس :54] .

6 ـــ الزمخشري، تيسير الكريم الرحمن ، ج21 ، ص422 .

وقـــال تعـــالى : " [illegible]

[illegible]

[illegible] ".[1]

وبعد هذا المشوار، وبعد كل هذا سينكس الظلمة في نار جهنم وتكـــون هـــي نهايتهم، فبئست النهاية وساءت الخاتمة ، قال تعـــالى : " [illegible]

[illegible] ".[2]

فعاقبة الظالمين جهنم، لا يموتون فيها ولا يحيون، فعن أبي سلمة أنه كانـــت بينه وبين أناس خصومة فذكر لعائشة ــ رضي الله عنها ــ فقالت له : يا أبا سلمة، اجتنب الأرض فإن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "من ظلم قيد شـــبر مـــن الأرض طوقه من سبع أرضين" [3].

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخـــذه لـــم يفلته "، ثم قرأ قوله تعـــالى : " [illegible]

[illegible] ".[4] .[5]

فمن يجرؤ بعد هذا على شيء من الظلم ؟ .

لقد بين الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن دعوة المظلوم مستجابة فقال : " واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " [6].

5ـ [الفرقان 27ـ29] .

[2] ـ [سبأ :42] .

[3] ـ [البخاري باب إثم من ظلم شيئا من الأرض ج3 ، ص1231، (2453) ؛ ومسلم باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها ج3 ، ص1231 ، (1612)] .

[4] ـ [هود :102] .

[5] ـ [البخاري ، باب قوله تعالى " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة " (ج6) (ص74) رقم (4686)] .

[6] ـ [مسلم ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ج1) (ص50) رقم (29)] .

إذن فدعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا لأن فجوره لا يجيــز التعــدي عليه، وفجوره على نفسه؛ فعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ـــ أن الرســول ـــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : " ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب عز وجل : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين "[1].

فليعلم كل من يقع في شيء من الظلم أن صاحب الحق وإن لم يستوف حقــه اليوم فسوف يستوفيه في موقف أشد صعوبة وأقسى يوم يقوم الناس لرب العــالمين، يستوفيه حينئذ خيرا من ذلك، حسنات هي خير من الدنيا وما فيها؛ عن أبي هريــرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه "[2].

إنه الظلم الذي حرمه الله على نفسه وجعله بين عباده محرما، إنه الظلم الذي توعد الله عليه أشد الوعيد، قال تعــالى : " $JR̂ 9$$¡¡ @Šô ?ã '$%ïû ƒ âî3bq$9Z ¨

bqãã/r Î'$$ Rö Ç Î̂öï$Î9$s Èé r9» í •š 9gó ãã ‹ # è &Ò Ï È ÍÇ"[3].

إن الظلم مذهب لبركة العمر مضيع لجهد الإنسان ممحق للكــسب، بــل إن الظلم إفلاس من كل مكسب في الدنيا والآخرة . عن أبي هريرة ــ رضي الله عنــه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: " أتدرون من المفلس " ؟ قــالوا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصــيامه وزكاتــه، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيقــتص

---

[1] ــ ابن حنبل، مسند الإمام أحمد (ج13) (ص410) رقم (8043) ؛ البيهقي، السنن الكبرى (ج3) (ص345 رقم (6620) ؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج16 ، ص396 (7387).

[2] ــ البخاري، صحيح البخاري، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللهــا لــه هــل يبــين مظلمتــه (ج3) (ص129) رقم (2449) .

[3] ــ [الشورى :42] .

هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليـــه مـــن الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار " [1].

وعن جابر ــ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليـــه وســـلم ــ:"اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كـــان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " [2].

أبشر أيها الطاغي الظالم بما أعده الله لك يوم القيامة ، قـــال تعـــالى : " $RÎ

“ ötã„ ö@ó3ØÏ$# ä$J¯Î) ¨ûqè=óàÎ=ø9$# bÎ)r $gÏã#Ÿß öNÍkÍ5 Þ‹n&r #·‘$tR ûüÏJÎ=»©à=Ï9 $tR÷‰tGôã&

$ãã) nqã [$š9 #Žá Ä !$™r Nã ãä? ÿ$) ÇËÈ " [3] ؛ أبشر بعد سعادتك بظلم النـــاس وفرحتك بأكل أموالهم وانتهاك حقوقهم، أبشر بمال كله ظلم، كله حزن، كله حـــسرة وندامة ، قال تعالى : " r™<è=ÞÓ‰$Ÿû ûïÏ%©!$# ÞOn=÷èu‹y™ur £ Zã)=Zƒ)Ç bqç7Î=s)Zƒ ÇËËÈ " [4].

الظلم والطغيان خلق ذميم، الظلم عمل سيء، الظالم عاقبته سيئة فـــي الـــدنيا والآخرة، إنه سبب لزوال النعم، سبب لانتقاص الأعمار، ســـبب لحلـــول العقوبـــات والمثلات، وفي الآخرة ظلمات بعضها فوق بعض؛ فليتق المسلم ربه وليلزم العـــدل في كل أحواله، فالعدل قامت به الأرض والسماوات، والظلم والطغيان ظلمات يـــوم القيامة. فخلص نفسك من مظالم العباد، أي مال دخل عليك بغير حق فتخلص منـــه، رد الحقوق إلى أهلها، تخلص من التبعات ما دمت قادرا في هذه الدنيا، الظلم يـــضر الفرد ويهلكه ويوقعه في كل ما يكره، ويرى بسبب الظلم ما يسوؤه في كل ما يحب، الظلم يخرب البيوت العامرة، ويجعل الديار دامرة، الظلم يبيد الأمم ويهلك الحـــرث والنسل .

---

[1] ــ [الترمذي : باب ماجاء في شأن الحساب والقصاص (ج4) (ص613) رقم (3418) ، قال الترمذي حديث حسن صحيح] .

[2] ــ [مسلم ، باب تحريم الظلم (ج4) (ص1996) رقم (2578)] .

[3] ــ [الكهف :29] .

[4] ــ [الشعراء :277] .

* من سنن الله عز وجل أن الدولة تبقى مع كفرها ولا تبقـــى مـــع ظلمهـــا وطغيانها، يقول الله تبارك وتعالى :" $Br b‰Ÿ2 ƒ' š• ãgŠ# š• ãš$s• 3' Ÿ¨Ïî ßt$gèd&r
ÇÊÊÐÈ šc qßsÎ=óÁãB "[1] .

فالدولة الكافرة قد تكون عادلة، بمعنى أن حكامها لا يظلمون الناس، والناس أنفسهم لا يتظالمون فيما بينهم، فهذه الدولة مع كفرها تبقى، وهذه سنة الله في الكون؛ إذ ليس من سننه إهلاك الدولة بكفرها فقط، لكن إذا انضم إلى الكفر ظلـــم حكامهـــا للرعية، وتظالم الناس فيما بينهم هلكت هذه الدولة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــــ رحمه الله ـــ : (إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقـــيم الظالمـــة وإن كانت مسلمة) . ويقول أيضا: (الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مـــع الظلـــم والإسلام)[2]، حتى وإن كان الناس مسلمين فلن يبقوا وهم ظالمون، فليتقوا الله تبارك وتعالى حتى لا تخرب البلاد فمن آثار الظلم خراب البلاد؛ يقول الإمام القرطبي ــــ رحمه الله ـــ [3] : إن الجور والظلم والطغيان يخرب البلاد بقتـــل أهلهـــا وانجلائهـــم منها، وترفع من الأرض البركة، يقول الله تبارك وتعـــالى : " ùĩ š• ã©qã‹ç/ ß{‰Ír Þ
ÇÊÈ šc qßJn=ôèt ƒ 7Bqs)Ï9 Zptƒ Uy 7Ï9ºsŒ 'Îû žc Î) 4(#þqßJn=sß $JÎ/ "[4].

---

[1] ــ [هود :117] .

[2] ــ ابن تيمية ، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام، فصل في الأمر بالمعروف والنهي عـــن المنكـــر (ج28 ص146) .

[3] ــ [القرطبي: هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي ، شمس الدين القرطبي فقيه مفسر عالم باللغة العربية ولد في مدينة قرطبة ، ترك ثروة علمية تقدر بثلاثة عشر كتابا مابين مطبوع ومخطوط أبرزها تفسيره الكبير الجامع لأحكام القرآن (ت : سنة 671)].

[4] ــ [النمل :52] .

الفصل الثالث

(نماذج من الطاغين في القرآن الكريم ومصيرهم)

1.3 ثمود قوم صالح :

ثمود قوم صالح نموذج آخر من الأمم الطاغية، والتـــي ذكـــر الله ســـبحانه وتعالى ــ قصتهم في مواقع عدة من كتابه العزيز .

بعد هلاك قبيلة عاد ــ قوم هود ــ ولم توجد قبيلة مثلها قوية وغنية، إلى أن ظهرت قبيلة ثمود في شمال بلاد العرب، في جهة تسمى الحجر، وهي بين المدينـــة المنورة والشام .

هذه القبيلة كانت تعيش في واد خصيب، تنبت فيه الحدائق المثمرة اللطيفـــة، والمزارع الخضر الواسعة، وبساتين النخيل التي تمتد مسافات كبيرة وتطرح بلحـــا وتمرا لذيذا حلوا سريع الهضم .

وقد بنوا القصور في أرض الوادي، ونحتوا في الصخر في الجبال المحيطـــة به بيوتا كاملة، كل حوائطها وسقوفها وأراضيها صخر متين لا يتهدم ولا يـــتحطم؛ وعاشوا عيشة ناعمة في رغد وهناء فترة طويلة، حتى نسوا الله الذي أعطاهم كـــل هذه النعم، فنحتوا من الصخور أصناما وعبدوها، واعتقدوا أنه ليس هنـــاك آخـــرة ومعاد، ولا حساب ولا سؤال، ولا ثواب ولا عقاب، وأفسدوا فـــي الأرض وضـــلوا ضلالا بعيدا؛ عند ذلك أرسل الله إليهم رجلا صالحا منهم رسولا هاديـــا ومرشـــدا، اسمه صالح ــ عليه السلام ــ، أمرهم بالكلمة التي لا تتغيـــر : " ®$$(r‰ßç$$É{ö)»ƒ
$B /ä9 ôÏB >m»9Ĵ ¼çnçöΐ "[1] وذكرهم صالح ــ عليه السلام ــ بنشأتهم مـــن الأرض. ونشأة أفرادهم من غذاء الأرض أو من عناصرها التي تتألف منها عناصر تكـــوينهم

---

[1] ــ [هود : 61] .

الجسدي، وأن الله استخلفهم فيها ليعمروها، ثم هم بعد ذلك يشركون معه آلهة أخرى .

ولكن قلوب القوم كانت قد بلغت من الفساد والانطماس درجـــة لا تستـــشعر معها جمال تلك الصورة ولا جلالها، ولاتحس بشاشة هذا القول الرقيـــق، وإذا بهـــم يفاجئون حتى إنهم ليظنون بأخيهم صالح الظنون. قال الله تعالى متحدثا عنهم:"#qä9$s%

'Æ9 $ZR)ã_ötB $uZŠÏù Ÿ@ö6s% !#x‹»yd (!$uZ8pk÷]s?r& br& y‰ç7÷è¯R $tB ß‰ç7÷ètƒ $tRät!$t/#uä ߊ@Ry ($¯RÎ)ur ~

© 7e:s% ÏmøŠs9Î) !$tRqããô‰s? $£JÏiB 7e:s%" [1]؛ ((لقد كان لنا رجاء فيك، كنت مرجـــوا فينـــا لعلمك أو لعقلك أو لصدقك وحسن تدبيرك، ولكن هذا الرجاء قد خاب)) [2] .

قال ((ماذا ترون إن كنت أجد في نفسي حقيقة ربي واضحة بينة، تجعلنـــي على يقين من أن هذا هو الطريق ؟ أو تأتي منه رحمة فاختارني لرســالته وأمـــدني بالخصائص التي تؤهلني لها، فمن ينصرني من الله إن أنا عـــصيته فقـــصرت فـــي إبلاغكم دعوته)) [3] .

قالوا يا صالح : إذا أردت أن نؤمن بربك فأظهر لنا معجزة .

قال الله تعالى متحدثا عـــن صـــالح : " ÉQöqs)»tƒur ¾ÍnÉ‹»yd èps%$tR «!$# öNä3s9 Zptƒ#uä

(ولا)) ،[4]" 7Í$s% Ò>#x‹tã ö/ä.x‹äzù'uŠsù &äþqÝ¡Î0 $ydq¡yJs? Ÿwur «!$# ÇÚö‘r& þ'Îû ö@à2ù'ts? $ydrâ‘x‹sù

يذكر السياق صفة لهذه الناقة التي أشار إليها صالح لتكون آية لهم وعلامة (ومعجزة على صدق دعوته). ولكن في إضافتها لله وفي تخصيصها لهم ما يشير إلـــى أنهـــا كانت ذات صفة خاصة مميزة يعلمون بها أنها آية لهـــم مـــن الله. وإلا فـــسيعاجلكم العذاب ـــ أي يأخذكم أخذا ـــ وهي حركة أشد من المـــس أو الوقـــوع . " ($ydrã)è)

---

[1] ـــ [هود : 62] .

[2] ـــ قطب، تفسير الظلال : ج4 ، ص249 .

[3] ـــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1908 .

[4] ـــ [هود : 64] .

ÇïÎÈ 5ÿ rä3B ţöî ‰ãr š• ïºŒ Q$ƒ& pW»=0 Ñà2 ƒ#Š ’Î ‡qãèG J? A$)ù "[1] دل عقـــــرهم للناقة، أي: ضربهم لها بالسيف في قوائمها وقتلها على هذا النحو، دل على طغيانهم وفسادهم واستهتارهم ،لأن آية الناقة لم تحدث في نفوسهم تجاه الدعوة إلى الله تغيرا يذكر. فقال لهم نبيهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام هي آخر ما بقي لكم من متاع هـــذه الدنيا ومن أيام هذه الدنيا الزائلة، فهو وعد صادق لن يحيد ، والعذاب لن يتأخر، فلما جاء موعد تحقيق الأمر ــ وهو الإنذار أو الإهلاك نجى الله صالحا والـــذين آمنـــوا معه برحمة منه ــ رحمة خاصة ومباشرة ــ نجاه الله من الموت ومن خزي ذلـــك اليوم ــ وأهلك ثمودا، فقد كانت ميتة ثمود ميتة مخزية ــ وكان مشهدهم جاثمين في دورهم بعد الصاعقة المدوية التي تركتهم موتى على هيئتهم مشهدا مخزيـــا فكانـــت الخاتمة المعهودة)) [2] .

((وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء وفي يوم النقمة يوم الأحد جاءتهم صـــيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ، ففاضت الأرواح وزهقت النفـــوس فـــي ساعة واحدة . وبقيت منازلهم المنحوتة في الصخور شاهدة عليهم وعلـــى طغيـــانهم وكفرهم والعذاب الأليم الذي حل بهم لعل ذلك يكون آية وعظة لمن يتصف بوصفهم من الطغاة والظلمة فيرتدعوا عن غيهم وطغيانهم فيعودوا إلى بارئهم لعل رحمة الله تشملهم)) [3].

2.3 طغيان قوم لوط :

إن المتأمل لقصة قوم لوط التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيـــز، ليقـــف مدهوشا تتملكه الحيرة والاستغراب من ظاهرة الشذوذ الجنسي التي مارسها ذكـــور قوم لوط، ألا وهي فعل اللواط وذلك أن يرتكب الذكور الفاحشة في أشباههم الذكور

---

1 ــ [هود : 65] .

2 ــ قطب، تفسير الظلال ، ص199.

3 ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ــ للإمام عماد الدين ، ج3 ــ ص202.

. إن المجتمعات وعلى مر الدهور لا تخلو من فئة مضلة ، تمارس الشذوذ الجنسي بشتى أنواعه، ولكن لم يحدث التاريخ عن أي أمة يمارس كل من فيها من ذكور وبلا استثناء الشذوذ الجنسي إلا قوم لوط .

والذي دفع هؤلاء القوم لارتكاب حماقتهم ومخالفة فطرتهم السليمة، وهي أن الرجل في طبيعته يميل إلى الأنثى والتي أودع الله تعالى فيها جميع مظاهر الشهوة ومثيرات الغرائز، بحيث ينجذب إليها انجذابا فطريا، معتدلا كان أم جامحا.

قال تعالى : " Rö¦% ÒЕΡ& @/ ä$¡ Ï9$Âc r߈ `Ï Βζϊ- A$_Íh9$bq趩9 ßΝà6 ΡÎ) " [1].

قال المفسرون ((أي: كيف تذرون النساء اللاتي خلقهن الله لكم، وفيهن المستمتع الموافق للشهوة والفطرة، وتقبلون وتدبرون على أدبار الرجال، التي هي غاية ما يكون في الشناعة والخبث، محل تخرج منه الأنتان والأخباث، التي يستحى من ذكرها فضلا عن ملامستها وقربها، بل أنتم قوم متجاوزون لما حده الله متجرئون عليه)) [2].

ولنا أن نتسائل: هل كانت نساء قوم لوط تنقصهن الصفات الأنثوية بما فيها من فتن ومثيرات، والتي تحرك مشاعر الرجال نحو الانجذاب إليهن جنسيا وعاطفيا وجسديا ؟ لقد أعد الله تعالى الأنثى إعدادا مناسبا تكتمل فيه كل الشروط اللازمة لممارسة الشهوة الجنسية وتصريف الغريزة الفطرية بكل يسر وسهولة يرافقها شعور غامر باللذة والاستمتاع الجنسي والعاطفي .

إذن فما الذي يدفع أمة كقوم لوط ـــ على ارتكاب فعلهم القبيح، الذي تقشعر منه نفوس أولي الألباب وأرباب الطبائع السليمة ؟وثمة شيء آخر يثير الاستهجان والاستغراب، أن نساؤهم كن أحيانا العيون الساهرة التي ترقب كل قادم، زائرا كان أم ضيفا، غريبا أم قريبا أو حتى عابر سبيل ، فيقمن بالدلالة عليه، فيقوم رجال البلدة

---

[1] ـــ [الأعراف : 81] .

[2] ـــ الزمخشري، تيسير الكريم الرحمن ، ج8 ، ص333 .

شيبا وشبانا بالإمساك به كأثمن غنيمة وأشهى فريسة، فينقضوا عليـــه ويفترســـونه، وعيون زوجاتهم ترمقهم بالفخر والاعتزاز كأنما حققوا نصرا ونالوا مجدا.

وفي الحقيقة فما النصر إلا إلقاء القبض على المجني عليه، ومـــا المجـــد إلا فاحشة اللواط. ومثال ذلك زوجة لوط ـــ عليه السلام ـــ وفعلتها مع أضيافه.

إن من صفة الأنثى الطبيعية وغريزتها الفطرية أنها تغار على زوجها من أن يقع صدفة أو عن سابق عزم، وقد تكيد لزوجها كيدا يتضاءل أمامه الشيطان، وتمكر به مكرا لتزول منه الجبال إن هو حدثها بالزواج من غيرها، أو ممارسة الرذيلة مع غيرها كاذبا كان أم صادقا. فمن أي جنس كانت نساؤهم ؟ ومـــن عجينـــة عجنـــت أجسادهن ؟ إن الله جل وعلا قد كرم بني آدم بأن خلقهم من أصل كريم وبذرة نقيـــة طيبة ومني طاهر. فهل لنا أن نتساءل: هل كان خلق الله لقوم لوط فيه استثناء ! الله أعلم .

هلاك قوم لوط ـــ عليه السلام ـــ :

قال تعالى : " {'ù 9$Sß $Á s è Ã ô Î ü û ÈÌ Ç ù f è $Y ã Ž $k ™$ ü $g r & ÜŠ $R

ã Ž ö m Ú $ z B ` Å @ ‹ Å f ™ ÈÌ Ç b) ’ Î û 7 Œ ; M » ƒ Ly ê q G ü û ÈÌ Ç r Ž $k 9 Î ¡ ‹ Î @ B Ž É Š A

ÈÌ Ç " .

قال المفسرون: ((لما خرج لوط ـــ عليه السلام ـــ بأهله، وهم ابنتاه، لم يتبعه منهم رجل واحد، حتى خلصوا من بلادهم، وطلعت الشمس فكان عنـــد شـــروقها أن جاءهم من أمر الله ما لا يرد. ومن البأس الشديد ما لايمكن أن يصد. اقتلعهن جبريل بطرف جناحه من قرارهن، وكن سبع مدن بمن فيهن من الأمم، ومـــا معهـــم مـــن الحيوانات، وما يتبع تلك المدن من الأراضي والأماكن، فرفع الجميع حتى بلغ بهـــن عنان السماء، حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم، ثم قلبها علـــيهم، فجعل عاليها سافلها. وجعل الله مكان تلك البلاد بحيرة منتنة لا يُنتفع بمائها ولا بمـــا حولها من الأراضي المتاخمة لفَنَائها، لردائتها ودنائتها، فصارت عبرة ومَثَلة وعظةً

وآية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته في انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاه. ودليلا على رحمته بعباده المؤمنين في إنجائه إياهم من المهلكات، وإخراجه إياهم من النور إلى الظلمات))[1].

(المتوسمين) قال المفسرون : للمتفرسين المتأملين [2]. وقيل : للمتفكرين الناظرين في الأمر [3].

3.3 طغيان فرعون وقومه : **لقد مارس فرعون وزبانيته** الطغيان بكافة ضروبه وأشكاله مع بني إسرائيل خاصة ومع قومه عامة.

وأذكر أنواع عدة من القهر الذي كان يمارسه فرعون مع قومه ومنه :

1) قهره السياسي: لقد قهر فرعون قومه وبني إسرائيل قهرا سياسيا، فهو الحاكم المطلق المستبد الذي لا رأي لغيره مع رأيه، قال تعالى مخبرا عنه: " $B

ÇÈ Ŝ$©Š$Ÿ@‹Î™ ŽwÎ) öNä3ƒÏ‰÷dr& !$Br 3“u‘r& !$B žwÎ) öNä3ƒÍ‘é " [4].

فعندما آمن سحرة فرعون بموسى قال : " LäêZB#uä ¼çms9 Ÿ@ö6s% ¼çmR̄) öNä3 bŒ#uä b&

Nä3Y7Ï k¹ {r # »=Å ôÏB /ä3=ã ö‘r Nä3ƒÏ‰÷ƒr& Æ èÜ%|ù •ós Å 9$Nä3 J=æ “ Ï%©$Näç6 39

ÇÊÈ 4’+ö/r $Y#‹ ã ‰©x& $Yƒr& £ß=èG9r @÷‚Z9$ÆEã ä ã ’Î[5] " [6].

2) قهره الاجتماعي : أ- قال البغوي : ((كان بنو إسرائيل أصنافا في أعمال فرعون، فالقوي منهم يقطع الحجر من الجبال هذا صنف ، وصنف ينقل

---

[1] ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2 ، ص478 .

[2] ــ النيسابوري، تفسير الكشاف ، ج2 ، ص563 .

[3] ــ الأشقر، زبدة التفاسير ، ج4 ، ص266 .

[4] ــ [غافر:29] .

[5] ــ أما عن سر التعبير عند قوله " Nä3Y7Ï k¹ {r " @÷‚Z9$ÆEã ä ã ’Î " فقد قال الأشقر في زبدة التفسير ، ج16 ، ص316 ، : اختار جذوع النخل لخشونتها وأذاها .

[6] ــ [سورة طه:71] .

الحجارة والطين لبناء القصور، وصنف يضرب اللبن والآجر، وصنف نجار وآخر حداد مسخرين لخدمة فرعون، والضعفاء منهم تُضرب عليه الجزيـــة والنساء يغزلن الكتان وينسجنه)) [1].

أما الشكل الثاني من القهر الاجتماعي: ((فإن فرعون وبناء على فتوى مـــن بعض كهنته وذلك جوابا لسؤاله إياهم عما رآه في النوم وهو أن نارا أقبلت من بيت المقدس فأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي فيها ولم تتعرض لبني إســـرائيل فـــشق عليه ذلك، وسأل الكهنة عن هذه الرؤيا فقالوا له: إن مولودا يولد من بني إســـرائيل يكون سببا في ذهاب ملكك. فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل حتـــى قتل من أولادهم اثني عشر ألفا وأسرع الموت في شيوخهم، فجاء رؤساء القبط إلـــى فرعون وقالوا له إن الموت قد وقع في بني إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فولد هـــارون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها)) [2].

((ويظهر أن استعباد بني إسرائيل كان إجراء سياسيا خوفـــا مـــن تكـــاثرهم وغلبتهم. وفي سبيل الملك والحكم، لا يتحرج الطغاة من ارتكاب أشد الجرائم وحشية وأشنعها بربرية وأبعدها عن كل معاني الإنسانية وعن الخلق والشرف والـــضمير. ومن ثم كان فرعون يستأصل بني إسرائيل ويذلهم بقتل المواليد الـــذكور واســـتبقاء البنات الإناث وتسخير الكبار في الشاق المهلك من الأعمال)) [3].

وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطبا بني إسرائيل مذكرا إياهم ممتنا علـــيهم : "

bqŠós Fóƒr Ñäã$Yø bqtø<ãÅU #<èû$ãbÎ Ñã RqãBqÝ„ bqãèö Á#ä ôÏB Nà6»Yø¯U ŒÎ)r

.[4] " ÇÍÒÈ ÒÏàã Ñãî/ ` ÏB äîx/ Nä3Ï9ºŒ 'Îûr Ñäã$¡Î

---

[1]ــ البغوي، [تفسير البغوي [1 /91] .

[2]ــ الجمل، حاشية الفتوحات الإلهية، (ج1 / ص51)] .

[3] ـــ قطب، في ظلال القرآن ، ص2430 .

[4] ـــ [البقرة : 49] .

وقال تعالى : " Nä.qè=ö6tRr Îh°9$$Î/ Îöy‚ø9$#r ¸pZ÷Fû $uZøŠs9Î)r bqã_èö ÇÌÎÈ ".[1]

لأن الابتلاء امتحان فيمتحن الله تعالى عباده بالخير ليشكروا وبالشر ليصبروا . عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال : ونبلوكم يقول نبتليكم بالشر والخيـــر فتنة بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحـــلال والحـــرام والطاعـــة والمعصية والهدى والضلال .[2]

قهرا عقائديا: أمر قومه بعبادته والسجود له وحذرهم مـــن أن يتخـــذوا إلهـــا غيره، و أوعدهم السجن أو الهلاك إن هم عبدوا غيره، وعلا في ذلك علـــوا كبيـــرا استكبارا منه واغترارا بقوته وملكه.

فقال : " $B àMôJÎ=tã Nä3s9 ô`ÏiB >m»s9Î) Îöîx " ".[3]

ثم طغى طغيانا مبينا فقال : " O$tRr& ãNä3š/u 4n?ôãF{$# ÇËÍÈ ".[4]

ثم قال محذرا موسى عليه الـــسلام ومهـــددا لـــه : " ÈûÈõ!$# |Nõ‹sƒªB$# $·g»s9Î) "

Îöîx y7¨ZnqèŠ`_ôâ`B z`ÏB šúüÏRqàfó¡yJø9$# ÇËÒÈ ".[5]

ثم أضاف مستكبرا مـــستهزئا : " ãbqtãöÏù ß`»yJ»ygt ÈûøÓ$# 'Í< %[n÷Ž|À þÌj?yè©9 à÷è=ö/r& |=»t7óF{$#

ÇÌÏÈ |=»t7óF{$# ÏNºuq»yJ¡¡9$# yìÎ=©Ûr'sù #n<Î) Ïm»s9Î) 4Óy›qãB ’ÎoTÎ)ur ¼çmZàßV{ $\/ÉŸ2 ".[6]

مصير فرعون وقومه :

---

[1] ــ [الأنبياء : 35].

[2] ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج3 ، ص159)] .

[3] ــ [القصص : 38] .

[4] ــ [النازعات : 24] .

[5] ــ [الشعراء : 29] .

[6] ــ [غافر : 36 ــ 37] .

بناء على ما تقدم من صور طغيان فرعون سياسيا واجتماعيا، فقد عـــالج الله طغيانه وتمرده معالجة متدرجة حسب مقتضى حكمته السرمدية البالغة وهـــي أن الله لا يعجل العقوبة للظالم بل يمهله، فيستدرجه ويملي له رجاء توبته ورجوعه عن غيه وطغيانه كما بينه قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " إن الله ليملي للظالم حتـــى إذا أخذه لم يفلته " [1].

وقوله تعالى : " Ns)ƒÉ ã9r ß Nßgs)ƒÉ ã9ur ß B 4Š$# ÉÎ#‹xãè9$ 4Š$# ÉÎ#‹xãè9$ ur öNßg¯=yès9

tbqãèÅ_ö tƒ " [2].

وقوله تعالى:" ß‰ƒÌ“tƒur ª!$# tûïÏ%©!$# (#÷rt‰tF÷d$# "Y‰èd 3 [3]".

وفي سورة أخرى يقول الله تعالى : " Nèdã‘Ì“ øÉtFó¡t⁄ y]ø‹ym ô`ÏiB Ÿw šcqßJn=ôètƒ

" ÇÍÍÈ ’Í?øBé&ur öNßgs9 4 ¨bÎ) “ωø‹x. îûüÏGtB " [4].

((أما فرعون فقد ابتلاه الله وقومه بالسنين ونقص من الثمرات، وبالطوفـــان وبالجراد والقُمل والضفادع وبالدم، لعله يعود إلى عقلـــه فيهتـــدي ويرشـــد فيتـــوب ويؤوب، ولكن الهداية منوطة بالله وحده، يُضل من يشاء ويهدي من يشاء ولا يظلـــم ربك أحدا. ولكن فرعون أصر على كفره وطغيانه استكبارا وعتوا، فأخذه الله أخـــذ عزيز مقتدر فأغرقه وجنوده في اليم وهو مليم)) [5].

قال تعالى : " çnx‹s{r'sù ª!$# tA%s3tR Íot÷zFy$# #’n<rW{$#ur " ÇËÎÈ [6].

---

[1] ــ [البخاري ، باب قوله تعالى : " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخـــذه ألـــيم شـــديد (ج6، ص74) رقم (4686)] .

[2] ــ [السجدة : 21] .

[3] ــ [مريم : 79] .

[4] ــ [القلم :44ــ 45] .

[5] ــ الأشقر، زبدة التفاسير، ص166؛ وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص213 بتصرف؛ وانظـــر البغوي، تفسير البغوي، ص485 .

[6] ــ [النازعات : 25] .

((ويقدم هنا نكال الآخرة على نكال الدنيا لأنه أشد وأبقى. فهو النكال الحقيقي الذي يأخذ الطغاة والعصاة بشدته وبخلوده))[1].

وقال عز من قائل : " r `ä ü äöãq `Br %6#ä ¼ s3?ÿ3»M ß$ø ƒ$Û¤þ ÈÇ

" ùèÁ ëöq ‘AqßÏ ÷ù' { ‹ ÷Ïd & {‹ Ž§#Î‹ þ ÈÇ "[2].

تفسير الآية: ((جاء فرعون ومن قبله من الأمم السابقة وقرى قوم لوط في الفعلة الخاطئة وهي الشرك والمعاصي فأخذهم أخذة نامية زائدة على أخذات الأمم، وهي أنه قلب بهم وبديارهم وأرسل عليهم حاصبا))[3].

((وكذلك غير هاتين الأمتين الطاغيتين، عاد وثمود، جاء غيرهم من الطغاة والعتاة كفرعون مصر، الذي أرسل الله إليه عبده ورسوله موسى بن عمران عليـــه الصلاة والسلام ــ وأراه من الآيات البينات ما يتيقنوا بها الحـــق، ولكـــن جحـــدوا وكفروا ظلما وعلوا وجاء من قبلهم من المكذبين وقرى قوم لوط، الجميـــع جـــاءوا بالفعلة الطاغية وهي الكفر والتكذيب والظلم والمعاندة، وما انضم إلى ذلك من أنواع الفواحش والقسوة))[4].

قال تعالى : " ù' { õR»ç r _ãã ‌Šqç¼ ùZ6 õR»gÖ Î‘ $Ë Ö r dèq ã‌îÌ ÈÍÇ "[5].

4.3 طغيان بني إسرائيل :

لعل أعظم بلاء ابتليت به البشرية في تاريخها هو بنو إسرائيل . قوم فضلهم الله على العالمين ــ عالمي زمانهم ــ قال تعالى في كتابه العزيز : " ƒ»6Í_Ú Ĵ óŽÂä ƒ@Ÿ

$6ãä ‌r(Ÿè ÉJ‌Ó$ É‌Ó ‌èõ‌Ï ‌M ‌æø ‌3‌ä ‌r Ì‌' ùÒ‌ç ‌a2 ã?‌' $%è»=Ü ü‌û ÈÐ‌Ç) "[1].

---

[1] ــ قطب، تفسير ظلال القرآن ، ج6 ، ص3815 .

[2] ــ [الحاقة : 9ــ 10] .

[3] ــ الأشقر، زبدة التفسير .

[4] ــ الزمخشري، تيسير الكريم الرحمن ؛ وانظر قطب، سيد قطب، تفسير الظلال ، ص3678 .

[5] ــ [الذاريات : 40] .

قال الطاهر بن عاشور: ((ومعنى هذا التفضيل أن الله قد جمـــع لهـــم مـــن المحامد التي تتصف بها القبائل والأمم ما لم يجمعه لغيرهم وهـــي شـــرف النـــسب وكمال الخلق وسلامة العقيدة وسعة الشريعة والحرية والشجاعة وعناية الله بهم فـــي سائر أحوالهم)) [2].

وقال تعالى : " ÇÌÈ ûüïÏ»èø9$# ’?ã @Ïtã 4’?ã Nßg»tR÷Žz÷$# ‰s)s9r " [3]. فجعـــل فـــيهم أكثر أنبيائه وجعل منهم ملوكا .

قال في التحرير والتنوير: ((ومعنى هذا التفضيل أن الله قد جمع لهـــم مـــن المحامد التي تتصف بها القبائل والأمم ما لم يجمعه لغيرهم وهي شـــرف النـــسب، وكمال الخُلق وسلامة العقيدة، وسعة الشريعة، والحرية والشجاعة، وعناية الله بهـــم في سائر أحوالهم)) [4].

أرسل الله فيهم كليمه موسى ــ عليه السلام ــ الذي أنجاهم الله عـــز وجـــل على يديه من فرعون وبطشه وطغيانه، حيث استعبدهم وسامهم سوء العذاب فقتـــل أبناءهم واستحيا نساءهم فاستحبوا العمى على الهدى تمردا واستكبارا، مـــا كـــادت تجف أقدامهم من عبور البحر حتى طلبوا من موسى ــ عليه السلام ــ أن يجعل لهم أصناما يعكفون عليها، ثم أتبعوا ذلك بعبادة عجل السامري. عفا الله عـــنهم إكرامـــا لنبيهم وإمهالا لهم واستدراجا لعلهم يعودون إلى رشدهم فيهتدوا ويطيعـــوا، ولكـــنهم رفضوا الطاعة وأصروا على الطغيان والكفر فقـــالوا : " 9`Bsƒœ 9` 79 n ÓÅ4Ó ·R "$#©

_ĝ•Z " [5].

---

[1] ــ [البقرة : 47] .

[2] ــ التونسي، محمد الطاهر بن عاشور، 1997م، التحرير والتنوير ــ دار سحنون للنشر والنوزيع ــ تـــونس، ص355 .

[3] ــ [الدخان : 32] .

[4] ــ التونسي، التحرير والتنوير، ص355 .

[5] ــ [البقرة : 55] .

أخذ الله عليهم العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له، واتباع رسله فامتنعوا عن الإيمان الصادق والطاعة المخلصة، حتى رفع فوق رؤوســـهم الطــور (الجبل) فسجدوا خوفا من أن يسقط على رؤوسهم فيهلكهم، فما أن رُفع الطُور حتى قالوا: سمعنا وعصينا.

قـــــال تعـــــــالى : " $B (rää 'qÜ9$$Nà6 %qù $Zèù'r Nä) »V‹B $Rõ {& ®)r

Nd‹yJà6 Î @ŏ ë$$Nĝ/qè '' Î (q(Ò r $Z Á ã r $Zèï (q$% (qãJÏ $ q$)Î Nà6 »Z?#ä

ÇÌÈ šú üZB$B O(ä bÎ NäãJ/Î ÿinÎ Nà2 ã(ƒ $J¡ @è " [1].

شنع الله عليهم لقسوة قلوبهم وعمى بصائرهم فقال تعالى عــنهم : "ÑM¡% Sê

ç ZB ã ÿF/ $J9 ó'$f ït$`B bÎr äqó%%©&r& ó'$Útt$ 'ĝù š• $Œ %è/.`B Nã(qè

$Br «!$pŠê z ôB áÍö $J9 $k]B bÎr ä$J$ç‹B ß ã÷ Šù ß)$±„ $J9 $k]B bÎr ãgR[$

ÇÍÈ bqèJè? $£ã @ÿ»óÎ ª! $" [2]. بنو إسرائيل قوم أطعمهم الله المن والــسلوى مــن السماء ، فطلبت أنفسهم الطعام الأدنى ــ البصل والقثاء والثوم . قال تعـــالى : "

ãM?ê$Ê$Z9 ó Ê&î š• /‘ $Y9 ä$$u %ïh°r Q$èÛ 4?ã ZÉÁR `9 4 › qB»ƒ Oçè ®)r

qè " %$$šc q%ö Ǵ& A$% $gÊÁ/r $kÅ%ãr $gBqèr $gí$V%r $gÎ)/.`B PÚ ö[$

ÇÊÊÈ qè " %$ 4† TŠ& " [3].

أرسل إليهم عيسى ــ عليه السلام ـــآية من عنده وروحا منه، فاتهموا أمــه بفاحشة الزنا وعزموا على قتله وقد قتلوا قبله يحي وزكريا وحزقيل أنبيــاء الله ــــ عليهم السلام ــ فنجاه الله منهم ومع ذلك لم ينكروا فعلتهم، بــل جـــاهروا بجـــرمهم

---

[1] ــ [البقرة : 93] .
[2] ــ [البقرة : 74] .
[3] ــ [البقرة : 61] .

فقالوا: " [illegible] "[1] ، وقد أخبر الله عن فعلهم الشنيع مع أنبيائهم ورسلهم فقال جل من قائل : " [illegible] ".[2]

حتى أنهم حاولوا قتل سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ في المدينة عن طريق تقديم شاة مسمومة له، وقد أكل منها شيئا يسيرا. قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم ".[3]

فأذلهم الله وقضى أن يرسل إليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة مثل نبوخذ نصر والرومان في العصر القديم وهتلر في العصر الحديث .

قال تعالى : " [illegible] ".[4]

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا عبد الله هذا يهوديٌّ خلفي فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود ".[5]

ألحوا على الله تعالى في طلبهم أن يفرض عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم وكانوا من قبل قد قالوا لموسى عليه السلام عندما طلب منهم أن

---

[1] ــ [النساء : 157] .

[2] ــ [البقرة : 78] .

[3] ــ [البخاري ، باب مرض النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ووفاته (ج6) (ص9) رقم (4428)] .

[4] ــ [الأعراف : 167] .

[5] ــ [مسلم ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (ج3) (ص2239) رقم (2922)] .

يدخلوا الأرض المقدســـة : " $gz͡B ‡qã_ãø£ Ø4Ï©n $g=ä z ô‰R ` 9 $R̂r ûïÍ$7ـ_ $B\$Yö% $kŽÏù bÎ) "
bÎù $gz͡B ‡qã_ãø£ $RÎù qè=Å ºŠ ÇËËÈ šc " [1].

((" ûïÍ$7ـ_ $B\$Yö% $kŽÏù bÎ) " : قال بنو إسرائيل إن فيها قوما شديدي القـــوة

والشجاعة ــ فهذا من الموانع لنا من دخولها ــ" $g=ä z ô‰R ` 9 $R̂r " هذا من الجـــبن

وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم لعلموا أنهم كلهم مـــن بنـــي إســـرائيل، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه لا حول ولا قوة إلا بـــالله ، ولعلمـــوا أنهـــم سينتصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك وعدا خاصا)) [2].

شنع الله عليهم بقسوة قلوبهم وعمى بصائرهم فقال تعالى عـــنهم : "§NèO ¡ % ô\M

qçz͡B ãèf ÿÏFƒ $J9 ô‘$ f ÿtø:$# `Ï B bÎ)r äZqó % ‰©ô& ÷rr& ô‘$Úftø:$% ‘ gÎù šÏ• ¨ ÏºŒ ‰÷èt/ .`Ï B N ä3çqè=è%

$Br « !$# Ïpu‹Šô±yz ô`Ï B äÝÎ6ök‰ $J9 $kÿ]ÏB bÎ)r âä!$yJø9$# çmÿ]ÏB ßlãøƒu‹sù ß,¤)¤±o„ $J9 $kÿ]ÏB bÎ)r ã≈ygÿR{$#

ª!$# @@ Ïÿ≈tóÎ/ ª$!$# ã $JJè? bqè=yJ÷ès? ÇÐÍÈ " [3].

((ثم اشتدت قلوبكم وغلظت ، فلم تؤثر فيها الموعظة من بعد مـــا أنعـــم الله عليكم بالنعم العظيمة ، وأراكم الآيات ، ولم يكن ينبغي أن تقـــسو قلـــوبكم لأن مـــا شاهدتم مما يوجب رقة القلب وانقياده ، ثم وصف قسوتها بأنها أشد قسوة من الحديد ، لأن الحديد والرصاص إذا أذيبا في النار ذابا بخلاف الأحجار ، وقلوبكم لا تقصر عن قساوة الأحجار بل أشد قسوة)) [4].

---

[1] ــ [المائدة : 22] .

[2] ــ الزمخشري، تيسير الكريم الرحمن ، ص250 .

[3] ــ [البقرة : 74].

[4] ــ الزمخشري، تيسير الكريم الرحمن ، ج1 ، ص47 .

لذلك كساهم الله ثوب الذل والهوان وفرض عليهم دفع الجزية وهم صاغرون وحل عليهم غضب الله بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيـــات الله وقتـــل أنبياء الله بغير حق. وجعل ذلك العذاب الدنيوي موصولا بعذاب الآخرة .

أما عن إفسادهم اليوم وما يمارسونه من طغيان فقد ذكـــره الله مجمـــلا فـــي سورة الإسراء، فقد قال الله تعـــالى : " bÎ%Åyj9 É»GÅ3ø9$'Î û@ƒÏäÂuó Î ûÓÍ_/ 4<Î $Y÷ŸÒs%r

ÇÍÈ #Z¶Î6Ÿ2 #qèã £è=è9r ÈûÈ?§B ÇÚ öF{$'Î "[1] .

((وبمناسبة المسجد الأقصى يذكر كتاب موسى وما قضى فيه لبني إسرائيل ، من نكبة وهلاك وتشريد مرتين بسبب طغيانهم وإفسادهم مع إنذارهم بثالثة ورابعة بقوله: " b)r ãN?%ã ÷b)r $Z¼è_r $Zè_ L©g_ 3ù»Ÿ¯ûïì m Ã•ž# ÇÌÈ "[2].))[3]

((وهذه الحلقة من سيرة بني إسرائيل لا تذكر في القرآن إلا في هذه السورة، وهي تتضمن نهاية بني إسرائيل التي صاروا عليها ، ودالت دولتهم بهـــا، وتكـــشف عن العلاقة المباشرة بين مصارع الأمم وفشو الفساد فيها، وفاقا لسنة الله التي ستذكر بعد قليل في السورة ذاتها، وذلك أنه إذا قدر الله الهلاك لقرية جعل إفساد المتـــرفين فيها سببا لهلاكها وتدميرها.

ويبدأ الحديث في هذه الحلقة بذكر كتاب موسى ـــ التوراة ـــ وما اشتمل عليه من إنذار لبني إسرائيل وتذكير لهم بجدهم الأكبر نوح ـــ عليه الـــسلام ــــ العبـــد الشكور، وآبائهم الأولين الذين حُملوا معه السفينة، ولم يُحمل معه إلا المؤمنون .

ذلك الإنذار وهذا التذكير مصداق لوعد الله الذي يتضمنه سياق السورة كذلك بعد قليل، وذلك ألا يعذب الله قوما حتى يبعث إليهم رسولا ينذرهم ويذكرهم.

---

[1] ـــ [الإسراء : 4] .

[2] ـــ [الإسراء : 8] .

[3] ـــ قطب، في ظلال القرآن (ج4) (ص500) .

وقد نص على القصد الأول من إيتاء موسى الكتاب : " ‰ÿ¨ " Ï9È¤Ï6 Î óŽÁ¨É@ ¨ßƒ r 'Îr߉ `Ï Βrä.Ï, θ? ×ξ÷." [1] فلا يعتمدوا إلا على الله وحده ، ولا يتجهوا إلا إلى الله وحده. فهذا هو الهدى وهذا هو الإيمان . فما آمن ولا اهتدى من اتخذ من دون الله وكيلا .

ولقد خاطبهم الله باسم آبائهم الذين حملهم مع نوح، وهم خلاصة البشرية على عهد الرسول الأول في الأرض، يخاطبهم الله بهذا النسب ليذكرهم باستخلاص الله لآبائهم الأولين مع نوح العبد الشكور أخبرهم بما قضاه عليهم من تدميرهم بسبب إفسادهم في الأرض . وتكرار هذا التدمير مرتين لتكرر أسبابه من أفعالهم ـــ وأنذرهم بمثله كلما عادوا إلى الإفساد في الأرض، تصديقا لسنة الله الجارية التي لا تتخلف .

وهذا القضاء إخبار من الله تعالى لهم بما سيكون منهم، حسب علمه الإلهي في مآلهم، إلا أنه قضاء قهري عليهم ، تنشأ عليه أفعالهم، فالله سبحانه لا يقضي بالإفساد على أحد، قال تعالى : "βÎ) ©!$# Ÿω â÷ß∆ù'tƒ Ï™!$t±ósxø9$$Î/ " [2]

إنما يعلم الله ما سيكون علمه بما هو كائن، فما سيكون ــ بالقياس إلى علم الله ــ كائن، وإن كان بالقياس إلى علم البشر لم يكن بعد، لم يكشف عنه الستار .

ولقد قضى الله لبني إسرائيل في الكتاب الذي آتاه لموسى أنهم سيفسدون في الأرض مرتين، وأنهم سيعلون في الأرض المقدسة، ويسيطرون، وكلما ارتفعوا فاتخذوا الارتفاع وسيلة للإفساد سلط الله عليهم من عباده من يقهرهم، ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميرا.

حتى إذا ذاق بنو إسرائيل ويلات الغلب والقهر والذل، فرجعوا إلى ربهم، وأصلحوا أحوالهم وأفادوا من البلاء المسلط عليهم، وحتى إذا استعلى الفاتحون

---

[1] ــ [الإسراء : 2] .
[2] ــ [الأعراف : 28] .

وغرتهم قوتهم فطغوا هم الآخرون وأفسدوا في الأرض، أدال الله للمغلـــوبين مـــن الغـــالبين، ومكـــن للمستـــضعفين مـــن المـــستكبرين: NÎŏã o§ 6 ø$Nã9 $RŠŠ' ©ê

" ÇÏÈ #ž•ÏjR ŽYò2 &Nã»Yùè_r šú üÏ/r A°qB'Î Nã»RŠ%Br "[1]

ثم تتكرر القصة من جديد وقبل أن يتم السياق بقية النبوة الصادقة ، والوعـــد المفعول يقرر قاعدة العمل والجزاء .

" $g=ù Nè?ù™& b)ÎÎr öã«Å¡RL{ ÓÉ¡ ¡ôm& ÓÉ¡ ¡ôm& b)Î "[2]

القاعدة التي لا تتغير في الدنيا والآخرة، والتي تجعل عمل الإنسان كله له بكل ثماره ونتائجه وتجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل، منه وبه تتكيف، وتجعل الإنسان مسئولا عن نفسه إن شاء أحسن إليها، وإن شاء أساء، لا يلومن إلا نفسه حين يحق عليه الجزاء .

فإذا تقررت القاعدة مضى السياق يكمل النبوءة الصادقة .

$JŸ2 ‰Éf ó J$(qè=ä ‹ïr Nà6 dqã_ã(qä´Ÿ Ï•Å F$%ãr ä!` #Œîù "

" ÇÐÈ #ž•Îk? (ö÷ã $B (rçŽÉ9ŽtFu‹Ï9ur o§B Aïr& çnqè=z Š[3].

ويحذف السياق ما يقع من بني إسرائيل بعد الكرة من إفساد في الأرض ، اكتفاءً بذكره من قبل " Èü?$B ÇJ öF$'Î bÅ%ãçÎ9 " ويثبت ما يسلطه عليهم في المرة الآخرة : " Nà6 dqã_ã(qä´Ÿ Ï•Å F$%ãr ä!` #Œîù " بما يرتكبونه معهم من نكال يملأ النفوس بالإساءة حتى تفيض على الوجوه، أو بما يجبهون به وجوههم من مساءة وإذلال، ويستبيحون المقدسات ويستهينون بها، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، ويدمرون ما يغلبون عليه من مال وديار " (rçŽÉ9Žr $B (ö÷ã #ž•Îk? "

---

[1] ــ [الإسراء : 4 ــ 6] .

[2] ــ [الإسراء : 7] .

[3] ــ [الإسراء : 7] .

وهي صورة للدمار الشامل الذي يطغى على كل شيء، والذي لا يبقي على شيء .

ولقد صدقت النبوءة ووقع الوعد ، فسلط الله على بني إسرائيل مـــن قهـــرهم .أول مرة، ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض ، ودمر مملكتهم تدميرا.

فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض فالجزاء حاضـــر والـــسنة ماضيه " $R̈‰ã ßN?‰ã bÎr " ولقد عادوا إلى الإفساد فـــسلط الله علـــيهم المـــسلمين فأخرجوهم من الجزيرة العربية كلها، ثم عادوا إلى الإفساد فسلط الله علـــيهم عبـــاداً آخرين؛ ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في سورة (إســـرائيل) التـــي أذاقـــت العـــرب أصحاب الأرض الويلات؛ وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العـــذاب، تـــصديقاً لوعد الله القاطع، وفاقاً لسنته التي لا تتخلف؛ وإن غداً لناظره قريب)) [1].

---

[1] ــ قطب، في ظلال القرآن ، (ج5) ،(ص6،7،8) .

الفصل الرابع
(وسائل القرآن في مواجهة الطغيان والطاغين)

لما كان الإسلام نظاما لكل الأزمنة والعصور، ولما كانت الأمور غير مستقرة على حال من الأحوال، جاء الإسلام بأصول عامة ومعالم أساسية، ولم يفصل غالبا في الجزئيات، حيث ترك لعلماء المسلمين مجالا رحبا للتحرك، ولاستحداث ما يتلاءم مع مصالح العباد، ولا يتعارض مع المقاصد الشرعية والأصول العامة . وبناء على ما تقدم فإن أي وسيلة أو أسلوب ترتب على تطبيقه والأخذ به إقامة العدل ومنع الطغيان جاز الأخذ به.

وأول الوسائل هي : تقوية العقيدة في الأجيال المسلمة لمقاومة الطغاة : لقد كانت عقيدة التوحيد ولا تزال من أهم وسائل المؤمنين لمواجهة شتى صور الفساد والطغيان والبغي ، فالعقيدة الصحيحة تمنع الحاكم من الطغيان، وفي نفس الوقت تدفع الرعية إلى مواجهة الطغيان إن برز في المجتمع وتمنعهم من الخضوع له . والعقيدة هي نفسها التي تدفع بطانة الحاكم من أن تزين له الطغيان وتسهل عليه ممارسته ولو كان ذلك في أمر غير ذي شأن .

1.4 غرس عقيدة التوحيد في الأجيال المسلمة لمقاومة الطغاة:

فمن آمن بالله إيمانا صادقا مخلصا لن يتجاوز الحدود التي رسمها له الشارع الحكيم في تعامله مع شعبه وإخوانه وجيرانه وخلق الله أجمعين ؛ فالعقيدة عندما تغرس في أعماق القلب فإنها تغير الإنسان قاسي القلب إلى شخص رحيم ، والإنسان الذليل المتحلق إلى إنسان عزيز جريء فيصبح أنموذجا يضرب به المثل على مر العصور .

2.4 توجيه الأجيال لله ولكم بالفزع إلى الصلاة عند الكروب لتفريجها:

((إن الصلاة صلة ولقاء بين العبد والرب، صلة يستمد منهـا القلـب قـوة، وتحس فيها الروح صلة، وتجد فيها النفس زادا أنفس من أعراض الحياة الدنيا. ولقد كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا حزبه أمر فزع إلى الـصلاة، وهـو الوثيق الصلة بربه الموصول الروح بالوحي والإلهام. وما يزال هذا الينبوع الـدافق في متناول كل مؤمن يريد زادا للطريق، وريا في الهجير، ومددا حين ينقطع المدد، ورصيدا حين ينفد الرصيد)) [1].

((فالصلاة مفزع المؤمن حين الشدائد والمحن ، وعند النوازل والخطـوب.

قال تعـالى : " $pκš‰'»¯$$gƒ `Ï%©!$#(qãB#ä #(qãè‹ÏGó™$# 9$$Î îôÁ 9$$ ô4=Á 9$$ ©$b) ì B 9$$ ûïÎÉ¢Á ÇÊÎÌÈ " [2] أي : [توسلوا بالصلاة والتجئوا إليها فإنها جامعة لأنواع العبادات النفسية والبدنية، حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب] .

وفي هذا إرشاد لنا إلى الأساس الذي تبني عليه الجماعة المسلمة كي تكـون مؤهلة لمواجهة الطغاة)) [3].

3.4 الدعاء والاستعانة بالله

الدعاء مأمور به حال الرخاء وحال الشدة، وهو مطلوب من العبد لإظهـاره موضع الفقر والحاجة إلى الله عز وجل والتذلل والخضوع له [4] فمن العبد المـسألة والدعاء ومن الله الإجابة والعطاء .

---

[1] ــ قطب،في ظلال القرآن ، ج1 ، ص69 .

[2] ــ [البقرة : 153] .

[3] ــ قطب، في ظلال القرآن ، ج1 ، ص69 .

[4] ــ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري [جامع البيان فـي تأويـل القرآن ــ ، [224 - 310 هــ] تحقيق أحمد محمد شاكر، دار النشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولـى، 1420 هــ - 2000 م ــ ج1، ص225] .

قال تعالى : "ôã brŲ̈Ï3Gó„ šú ïÏ%©!$bÎ) ÿ39 ó=ÉGõÏ& þÎqãŠ$#Šà6 ŠÌ' A$%r" ÇÏÈ šú ïÌÅ#Š L©g_ bqè=äz ô‰u‹™ ’ÎŠ$6Ïã"[1]؛ أي إن الذين يستكبرون عـــن دعـــائي سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين وهذا من الله جل شأنه وعيد شديد[2].

والدعاء من أهم السبل التي يعتمدها المؤمن في كل وقـــت وحـــين، وتـــشتد الحاجة إليه عند المصائب والمصاعب، وإن أشد الحالات حرجا هي تلك التي يواجه بها المؤمنون الطغاة فيلجئون إلى من يسمع شكواهم ويقضي حاجاتهم ويفرج الضيق عنهم، فإنه لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .

قال تعالى: " B& ` ¨Å‹g¿ †UÜÒßJø9$# #ŒÎ) çnæ%tæyŠ ß#ϱõ3tƒur äþq¡9$#"[3]؛((فالمـــضطر في لحظات الكربة والضيق لا يجد له ملجأ إلا الله عز وجل يدعوه ليكـــشف عنـــه الضر والسوء، وذلك حين تضيق الحلقة وتشتد الخنقه، وتتخاذل القـــوى وتتهـــاوى الأسناد، وينظر حوله فيجد نفسه مجردا من وسائل النصرة وأسباب الخلاص، كـــل القوى البشرية قد تخلت عنه وتنكرت له، في هذه اللحظة تستيقظ الفطرة فتلجأ إلـــى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة)) .[4]

فالواجب إذن هو الثقة المطلقة بالإجابة ولو بعد حين، والاستقامة في الدعاء هو ترك الاستعجال في حصول المقصود ونيل المآرب .

أما الاستعانة بالله فهي ((طلب المعونة منه سبحانه وتعالى، وهي طلب مـــا يتمكن به العبد من الفعل أو يوجب اليسر عليه)) [5]. وفي الحديث : " وإذا اســـتعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء

---

[1] ــ [غافر : 60] .

2 ــ الطبري، [تفسير الطبري : 24/ 79 ، الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، تفـــسير روح البيان ــ دار إحياء التراث العربي، بيروت ، بدون ذكر تاريخ، 81/24] .

[3] ــ [النمل : 62] .

[4] ــ قطب، [في ظلال القرآن 6 / 294 ـــ 295] .

[5] ــ الخلوتي، تفسير روح البيان ج1/ ص87] .

قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف " [1]. فإذا استعنت بالله عز وجل فإنه تعالى يعينك بما هو خير لك، فإنه نعم المعين، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولا. ((والطريق المأمون عند كل رشيد قصر الاستغاثة والاستعانة على الله عزوجل فهو سبحانه الحي القادر العالم بمصالح عباده فإياك والانتظام في سلك الذين يرجون النفع من غيره تعالى)) [2] .

4.4 التوكل على الله وتفويض الأمر إليه

((يقال: توكل الأمر إذا ضمن القيام به ، ووكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه. ووكل فلان فلانا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه)) [3].

والتوكل لغة : ((إظهار العجز والاعتماد على غيرك))[4]؛ وفي الاصطلاح: ((الثقة بما عند الله عز وجل واليأس عما في أيدي الناس))[5] .

لقد استجاب الذين آمنوا لأمر ربهم وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ــ عليه السلام ــ حينما ألقي في النار، وقالها رسول الله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين قالوا له ولأصحابه الأطهار: " $Z9$bÎ ã¨ $Z9$$Ng9 A$% ûïÏ%$

ÇÊÐÌÈ @<Å2 q$$Nèkr ª! $$Zçó m (q$%r $Y%J ƒÎ Nèd Š#“ù Nèdq±÷z $$u N3 9 (qãK_ %

@ô ù rê ª! $ «! $b°qê Í (qã7?$ äp‰ Nhé ¡ ð ƒ N©@ôÒ ùr «! $`Ïß pJèÏZÎ (qç) R$u

---

[1] ــ [مسند الإمام أحمد (ج4) (ص410) رقم (2669) ، و الترمذي، سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ باب ما جاء في صفة أواني الحوض ج4/ص667 رقم 2516 ، قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث حسن صحيح] .

[2] ــ الخلوتي، تفسير روح البيان ج14 / ص160] .

[3] ــ ابن منظور ، [لسان العرب ، مادة توكل (11/ 734)] .

[4] ــ الرازي، مختار الصحاح ، مادة توكل (740)] .

[5] ــ [التعريفات ، فصل الواو (97/1)] .

ÇÌÍÈ ÆŠãà " [1] ؛ ذلك أن التوكل على الله والالتجاء إليه هو الأصل الذي تبنى عليه كل حركة في الحياة ، في الرخاء والشدة سواء. وهكذا كان نبي الله وكليمه موســى عليه السلام متوكلا على الله وآمرا لمن اتبعه من المؤمنين المضطهدين بالتوكل عليه ، فهما هو ــ عليه السلام ــ ينــاديهم " ƒ»(Ïçõ bĵ äŸêL #äB ŸêL Ŝ$ »Ï ùèøïn ?q©èþ(ŧ bĵ äŸêL

$Yÿ§Ųr ÇÑÎÈ šú üÜî»ã9$Qöθ)ø ø‡ZFŀü $Zèègø B ẅ $Z/‘ $Zèq©? «Ï $’?ã ((q#$)ù ÇÑÍÈ ûüÜîó B

. [2] " ÇÑÏÈ ûïÍŸ»3ø9$Qöθ)ø9$ `B š• ĞHq•Ĵ

حيث أمرهم بالتوكل على الله : أي به فثقوا ولأمره فسلموا ، فإنه لن يخــذل أولياءه ويسلمهم إلى عدوهم وظالمهم . فالله سبحانه وتعالى كاف من توكــل عليــه بقوله تعالى : " ø§& $ § !ª $3Ĵ $ $< ãø‰çq¼ " [3] .

وهذا إنكار ونفي لعدم، كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحــد على أن يتفوه بعدمها أو يتلعثم في الجواب بوجودها [4]، وكثيرا ما يقــرن الله تعــالى بين العبادة والتوكل عليه كقوله تعالى : " ù$ãç‰øãn q?r 2ž@ ãøèï " [5] فإنه كافيــك كل ما تكره ومعطيك كل ما تحب [6].

ويلحق بالتوكل على الله تفويض الأمر إليه .

إننا حين نتوكل على الله نشعر بالقوة والثبات والطمأنينة ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم، فإنه لا يضيع من لاذ بجناب الله والتجأ إلى حمــاه، وحكــيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره، وكل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجتــه

---

1 ــ [آل عمران : 174] .
2 ــ [يونس : 84 ــ 85 ــ 86] .
3 ــ [الزمر : 36] .
4 ــ الخلوتي، تفسير روح البيان: 5/ 24] .
5 ــ [هود : 123] .
6 ــ [فتح القدير : 2/ 535] .

مثل حاجتنا فكيف نتوكل عليه [1]. ذلك ظن الواهمين والمنافقين ومن طمس على بصيرته، كما أننا ندرك حين توكلنا على الله ونحن نخوض جهادنا مع الطاغوت أن وراء الأحداث قوة منفردة بالخلق والاختبار، وأنه ليس لها في الكون كله منازع ولا معقب، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه [2]؛ فحذار من الاستعجال أو التردد والنكوص مهما غلت التضحيات وارتفع ثمن المواجهة مع الطاغوت .

5.4 الصبر

مما لا شك فيه أن الصبر وسيلة ضرورية لمقاومة الطغيان فالإصلاح ورد الفاسدين بحاجة إلى صبر؛ ((وأصل الصبر لغة: الحبس. وكل من حبس شيئا فقد صبره)) [3]. فالصبر حبس النفس عن الجزع، وعند المفسرين الصبر اصطلاحا: ((حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها)) [4]. أو هو ((حبس النفس على مشاق الطاعة والنوائب والمكاره)) [5]. ولقد أكثر القرآن الكريم من ذكر الصبر وذلك أن المواجهة مع الطغاة تحتاج إلى الصبر على ما تحمله هذه المواجهة من آلام جسام، فمقارعة الطواغيت تعني جهادا لا يثبت فيه إلا من وهب نفسه لله عز وجل وأيقن بوجوب حبس نفسه على ما تكره، وقدرته على دفعها رغم المخاوف والشدائد فالطاغوت لا يستسلم بسهولة وسيدافع بشراسة عن نفسه ومنهجه ونظامه مستعملا كافة ما لديه من وسائل مرعبة متجاوزا كل القيم والمثل والخلاق لا يردعه ضمير ولا يمنعه إيمان، فليس أمامه إلا أن يدافع عن مصالحه ومكتسباته بكل ما أوتي من قوة وجبروت، من هنا كان على من أراد المواجهة أن يتزود بزاد الصبر فهي

---

[1] ــ الغزالي، إحياء علوم الدين ج4 / ص195] .

[2] ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6/ص251] .

[3] ــ ابن منظور ، [لسان العرب مادة صبر ج4/ ص438] .

[4] ــ شهاب الدين، أبي المعالي محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين، [تفسير الألوسي (ج1)، (ص351)].

[5] ــ المناوي، عبدالرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، دار الشروق، لبنان، 2008م، (ج3)/(ص314)] .

مواجهة مكلفة تحتاج من الشهداء والجرحى والسجناء المعذبين؛ وكل ذلــك يتطلــب صبرا وتجلدا؛ فبالصبر تنال الإمامة في الدين والقيادة والريادة في الدنيا، وبه تكون معية الله مع الصابرين، وإنه سبحانه معهم ينصرهم ويكلؤهم ويرعاهم حتى يظفروا بما طلبوا. (الصبر نور قوي تتكشف به الكربات وتنزاح به غياهب الظلمات، فمــن صبر على ما أصابه من مكروه ــ علما بأنه من قضاء الله وقدره هان عليه ذلــك، وكفي عنه شره، وادخر له أجره؛ ومن اضطرب فيه وأكثر الجزع والهلع لم ينفعــه تعبه، ولا يدفع سعيه شيئا من قدر الله بل يتضاعف به همه ويحــبط أجــره والعبــد بالصبر يخرج من عهدة التكليف، ويقوى على مخالفة الــشيطان والــنفس، فيفــوز بالدارين فوزا عظيما) [1].

والصبر الذي يكون لله وفي سبيل الله ثوابه غير مقدر؛ يقول الله تعــالى : " $JR¯ ’®ûqãƒ $#9»¢ÉÁ ŽÉ9br & Nèd•ô_ Î/öŽ ïm ¡$ 5> ÇÉÈ " [2].

وكفى بهذا الأجر غير المقدر حافزا لمواجهة الطاغوت وتحمل أذاه ، فليصبر المظلومون والمضطهدون صبرا جميلا لا جزع فيه ولا شكوى بــل يبثــوا همهــم وكربهم على الله وحده كاشف الهم وفارج الغم سبحانه وتعالى .

6.4 الجهاد في سبيل الله لمقاومة الطغاة وإعلاء كلمة الله

إن أهم وسيلة وأنجعها تأثيرا في مقاومة الطغيان ورد كيــد الطــاغين إلــى نحورهم هو الجهاد في سبيل الله .

((إن أول ما يطالب به دين الله عباده، أن يدخلوا في عبودية الحــق كافــة مخلصين له الطاعة والانقياد، حتى لايبقى في أعناقهم قلادة من قلائد العبودية لغيــر الله تعالى، ثم يتطلب منهم ألا يكون لحياتهم قانون إلا ما أنزله الله تعالى، وجاء بــه الرسول الأمي الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم إن الإسلام يطالبهم أن ينعدم من

[1] ــ المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج4/ص291] .

[2] ــ [الزمر :10] .

الأرض الفساد، وتستأصل شأفة السيئات والمنكرات الجالبة على العباد غــضب الله تعالى وسخطه، وهذه الغايات السامية لا يمكن أن يتحقق منها شيء ما دامت قيـــادة أبنائه وتسيير شؤونهم في الأرض بأيدي أئمة الكفر والطغيان. ومن هنا يظهـــر مـــا للإمامة الصالحة وإقامة نظام الحق من أهمية خطيرة تجعلها مـــن غايـــات الـــدين وأسسه وكل ذلك يتوقف تحققه على القوة الجماعية للأمة .

إن إقامة الإمامة الصالحة في أرض الله لها أهمية جوهرية وخطورة بالغـــة في نظام الإسلام. وكل من يؤمن بالله ورسوله ويدين دين الحق، لا ينتهي عمله بأن يبذل الجهد المستطاع لإفراغ حياته في قالب الإسلام، ولا تبرأ ذمته من ذلك فحسب، بل يلزمه بمقتضى ذلك الإيمان أن يستنفذ جميع قواه ومساعيه في انتزاع زمام الأمر من الكافرين والفجرة والظالمين حتى يتسلمه رجال ذوو صلاح ممـــن يتقـــون الله، ويرجون حسابه ويقوم في الأرض ذلك النظام الحق المرضي عنـــد الله الـــذي بـــه صلاح أمور الدنياوقوام شؤونها)) [1]. وعلى كل حال فإن الجهاد باللـــسان يجـــب أن يسبق الجهاد بالسنان. فالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للطغاة أمـــر محتم، لعل الطاغية يتراجع عن طغيانه، وهذا أسلم وأقل كلفة، فلقد أمـــر الله نبيـــه موسى عليه السلام وأخاه هارون أن يذهبا إلى فرعون، وأن يقولا له قولا لينا لعلـــه يعود إلى رشده فيهتدي ويتوقف عن طغيانه وظلمه وكفره.قال الله تعالى:"4‹Ï $6d‰$

ÇÍÈ 4 ´ þ ‹ ã© Ff ¼ã©Ý©$Yƒ©Zvö‰ ¼çµ9 Ÿwq)ù ÇÎÈ 4öÛ ¼çRÎ) böqãã‹" [2].

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " الدين النصيحة قلنا لمن يا رســـول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " [3].

أما الدليل على الجهاد بالكلمة أو اللسان فهو قوله ــ صلى الله عليه وسلم : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم " [1].

---

[1] ــ قطب، تفسير في ظلال القرآن، ج3 ، ص1320 .

[2] ــ [طه : 43ــ44] .

[3] ــ [مسلم ، باب بيان أن الدين النصيحة (ج1) (ص74) رقم (95)] .

فالحديث قد جمع بين أنواع الجهاد الثلاثة . وأفضل أنواع الجهاد والمجاهدين وأعلاهم درجة عند الله تعالى من جمع في نفسه أنواع الجهاد الثلاثة الآنفة الـذكر: الجهاد بالنفس والمال واللسان، ولا يجتمعان إلا في القليل .

إن غاية الجهاد في الإسلام أن يكون في سبيل الله ، كي تكون كلمة الله تعالى هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى. فالجهاد، كغيره من العبادات عمل تعبدي عظيم يبتغى منه مرضات الله تعالى والتقرب إليه سبحانه وتعالى، وفق أمره يبـذل الغالي والنفيس، رجاء الفوز بما وعد الله تعالى المجاهدين في سـبيله مـن عطـاء جزيل، كما في الحديث المتفق عليه : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فـي سبيل الله عز وجل "[2] .

أما من يقاتل لتكون كلمة الذين كفروا أو كلمة الطاغوت هي العليا ــ ومـن كلمات الطاغوت حكمه وقانونه وشرعه ونظامه ودستوره فقتاله في سبيل الطاغوت، ولا يمنع عنه هذه الحقيقة وهذا الحكم أو الوصف أن يتسمى وعمله زورا وجهلا ــ بالجهاد والمجاهدين ــ فتسمية الأشياء بغير مسمياتها لا ينفي عنها صفتها الحقيقيـة، كما قال تعالى : "tÈ<Ï™ 'Î bqè=ÏG»s)ã(qãZtB#ä ûïÏ%!$# « $tÈ<Ï™ 'Î bqè=ÏG»s)ã(rãxÿx. ûïÏ%!$#

ÏNqäó»©Ü9$# ä$uŠÏ9÷rr& (#þqè=ÏG»s)sù bÎ) ô‰øŠx. Ç»Üø‹±9$# b%x. $¸ŠÏè|Ê ÇÐÏÈ "[3] .

ومهما أضفى عليهم العدو من ألقاب السوء فهذا لا يضيرهم، ولا ينفي عـنهم صفة أنهم يقاتلون في سبيل الله. وأما الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت فمهما أضفى عليهم أعلام الطاغوت وسحرته من ألقاب المديح والإطراء فهـذا لا ينفـي عـنهم صفتهم الحقيقية .

---

[1] ــ السجستاني، سنن ابي داود، (ج2) (ص318) رقـم (2506) ، وأخرجـه أحمـد (ج21) (ص232) رقـم (13638) ، والنسائي (ج6) (ص7) رقم (3096)] .

[2] ــ [البخاري ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (ج4) (ص20) رقم (2810) ؛ ومسلم باب من قاتـل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (ج3) (ص1512) رقم (150)] .

[3] ــ [النساء : 76] .

ومعنى كلمة الله : أي حكمه وشرعه وقضاؤه ، فكل من هذه المعاني تدخل في معنى (كلمة الله)، وعليه فكل ما أمر الله تعالى به أو حكم وقضى به أو شرعه لعباده، أو أذن لهم به فهو من كلمة الله تعالى، والقتال دونه من القتال في سبيل الله أن تكون كلمة الله هي العليا .

وأما أغراض الجهاد في سبيل الله فشتى وعديدة: وهي كل ما أذن الله تعالى بالقتال دونه ودفاع عنه: كالدين والأنفس والأعراض والمال والمظالم والمظلومين وأوطان المسلمين ــ مأوى ومحضن الحرمات ــ والحقوق لما في الاعتداء عليها اعتداء على الحقوق والحرمات، إذ لا أمن ولا سلامة لحرمات المسلمين وحقوقهم من دون أمن وسلامة، فكل منهما لازم وملزوم للآخر. ومن هنا نص أهل العلم على وجوب الدفاع عن أراضي وأوطان المسلمين في حال اعتدي على شبر من أوطانهم وبلادهم.

قال تعالى : "bËé @ïûãâ(»èq ĉš Î'Rğ§ tΒ ãî3Β (r ĵb$ ® ã?4 R Çîdö "9)‰f̊ ÈìÇ "[1]. وهذا قتال في سبيل الله الغاية منه طلب مرضاة الله تعالى بطاعته فيما أمر وأذن به، غرضه دفع ظلم الظالمين وطغيانهم عن عباد الله المظلومين))[2].

7.4 الاستقامة وعدم اتباع سبيل الذين لا يعلمون

إن من وسائل مواجهة الطاغوت الاستقامة وعدم اتباع سبيل الذين لا يعلمون، وهما أمران من الله سبحانه وتعالى في بضع آية يشكلان معا جزءا من منهج المجابهة المتكامل مع الطغاة .

إن الأمر الأول يتمثل بالاستقامة وتعني (الاعتدال) .

يقال : ((استقام له الأمر ، فالاستقامة : الاعتدال والمضي على المنهج دون انحراف ؛ قال تعالى : " فاستقيموا إليه " أي : في التوجه إليه وحده دون غيره، وقام

---

[1] ــ [الحج : 39] .

[2] ــ التونسي، التحرير والتنوير ،ج1 ، ص355 .

الشيء واستقام واعتدل واستوى))[1]، وقوله تعالى : " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا "[2] أي:((عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

فالاستقامة والاطراد والثبات على هذا المنهج درجة بعد اتخاذ المنهج : استقامة النفس وطمأنينة القلب، استقامة المشاعر والخوالج، فلا تتأرجح ولا تضطرب ولا تشك ولا ترتاب بفعل الجواذب والدوافع والمؤثرات، وهي عنيفة ومتنوعة وكثيرة. واستقامة العمل والسلوك على المنهج المختار، وفي الطريق مزالق وأشواك ومعوقات، وفيه هواتف بالانحراف من هنا ومن هناك))[3].

ولما كانت الاستقامة أصلا وأساسا لنجاح الدعوات وانتصار المنهج الحق أمر الله نبيه محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقوله : " فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير "[4]؛ أي : فاستقم أنت يا محمد على أمر ربك والدين الذي ابتعثك به الله، والدعاء إليه كما أمرك أنت ومن تاب معك، أي من رجع معك إلى طاعة الله والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره، ولا تعدوا أمره إلى ما نهاكم عنه إنه بما تعملون بصير[5]. إنه أمر عظيم أحس عليه الصلاة والسلام برهبته وقوته حتى روي عنه أنه قال مشيرا إليه: " شيبتني هود "[6] .

وهو في حاجة إلى اليقظة الدائمة، والتدبر الدائم، والتحري الدائم لحدود الطريق، وضبط الانفعالات البشرية التي تُميل الاتجاه قليلا أو كثيرا، ومن ثم فهي شغل دائم في كل حركة من حركات الحياة[7] .

---

1 ــ ابن منظور ، [لسان العرب ، مادة : قوم (499/12) ، الرازي، مختار الصحاح مادة قوم (232)] .

2 ــ [سورة فصلت : 30] .

3 ــ قطب، في ظلال القرآن 235/7] .

4 ــ [هود : 112] .

5 ــ [انظر الطبري، تفسير الطبري 162/12 ، أبي السعود، تفسير أبي السعود 244/4 ، البغوي، تفسير البغوي 404/2] .

6 ــ [الترمذي (ج5) ،(ص402) رقم (3297) قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لانعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه] .

7 ــ قطب، [في ظلال القرآن 630/4] .

لقد تكرر الأمر بالاستقامة لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال تعالى : "واستقم كما أمرت ولا تتبع أهــواءهم "[1]، أي: واستقم على الدعوة كمــا أمــرك الله تعالى ولا تتبع أهواءهم الباطلة؛ وهو أمر ثقيل لأن المطلوب هــو التــزام جميــع الطاعات والتكاليف، وعدم اتباع الهوى لأن اتباع الهوى يُضل عــن ســبيل الله؛ إن استقامة الداعية على المنهج الذي يدعو إليه وثباته وعدم تردده يعكس مدى إيمانــه بما يدعو إليه، وهو شرطٌ ــ أي إيمانه بما يدعو إليه ــ لابد منه لنجاح دعوتــه، إذ كيف يمكن له أن يدعو إلى أمر هو لا يلتزم به ولا يــستقيم عليــه ؟! وبالتــالي لا تتجاوب الجماهير مع دعوة لا تظهر آثارها على صــاحبها؛ وفــي المقابــل فــإن الاستقامة على المنهج رغم صروف الأيام وتقلبات الزمن يُدخل في قلــوب النــاس حقيقة مفادها: إن استمراره وثباته واستقامته تعني أنه أدرك الحق والحقيقة معا .

أما الأمر الثاني فيتمثل بعدم اتباع سبيل الذين لا يعلمون الحق ولا يهتــدون إلى حقيقة، فهم في ريبهم يترددون، وعلى المصير قلقون، فمن لم يجعل الله له نورا فما له من نور، ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، يقول الله تعــالى : "ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون "[2]، أي : ولا تسلكان طريق الذين يجهلون حقيقة وعــدي فتستعجلان قضائي، فإن وعدي لا خالف له ، وإن وعيدي نازل بفرعون وعــذابي واقع به وبقومه لا محالة ؛ فالاستعجال دليل ضعف وقــصر نفــس، ويــؤدي إلــى التساقط على الطريق وعدم إكمال المشوار إلى غايته[3].

إن الاستقامة على المنهج وعدم اتباع سبيل الذين لا يعلمون ركن أساسي في الانتصار على الطاغوت، فالتفريط كالإفراط يطيل المسافة ويكثر من التــضحيات، وإن أقصر الطرق وأقلها كلفة هي الطريق التي أرشد الله موسى ــ عليه السلام ــــ إليها بالاستقامة وعدم المداهنة مع الطاغوت. يقول الله تعــالى : " ودوا لو تدهن

---

1 ــ [الشورى : 15] .

2 ــ [يونس : 89] .

3 ــ الطبري، تفسير الطبري (161/11 ــ 162) مع بعض التصرف، انظر البيضاوي، تفــسير البيــضاوي (213/3) البغوي، تفسير البغوي (366/2) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (469/2)] .

فيدهنون" [1] أي ودوا لو تلين في دينك فيلينون في دينهم ، ذلك أن المداهنة مصانعة ومجاملة وممايلة ومقاربة في الكلام على حساب الحقيقة في هذا الدين، وهذه أمنيـــة الكافرين أن يداهن أصحاب الحق في الدين [2]. إنها مساومة للوصــول إلـــى الحــل الوسط؛ بل ونقول: إن الملاينة في الدين من قبل بعض المسلمين أدت إلـــى تفريــق صفهم ووقوع الخلافات فيما بينهم. فهي تجلب الضرر مرتين: مرة بإطماع العـــدو في التنازل تلو التنازل، ومرة في زعزعة وحدة المسلمين .

[1] ـــ [القلم : 9] .

2 ـــ الطبري، [تفسير الطبري 21/29 ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. 231/18] .

الخاتمة

الحمد لله أحمده حمد الحامدين، والشكر لله أشكره شكر الشاكرين، الحمــد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده وأشكره أن يسر لــي إتمــام هــذه الرسالة، أسأله سبحانه أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا، إنه نعم المولى ونعم النصير.

هذا جهدي القاصر بعد توفيق الله الواحد القاهر ، أسأله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، أن يتقبل منا الصالح من الأعمال وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الجميع، وأن يجعله عظة وعبرة لمن يعتبر، وقدوة لمن أراد العلم النافع. وصلى الله وسلم على نبينا محمــد وعلــى آلــه وصحبه أجمعين .

النتائج والتوصيات :

إن هذا الحديث الواسع عن شخصية الطغاة ليؤكد أن هذه الشخصية تتكــرر بأشكال مختلفة وجوهر واحد، وإنه لابد من المواجهة من قبل جماعة مؤمنة صابرة مصابرة تأخذ على عاتقها دفع الثمن بأعلى مستوياته من التــضحية، لتكــون مثــالا للآخرين في الثبات والتصدي، وأي قفز عن هذه الحقيقة في مواجهة الطاغوت يعني إطالة مرحلة الاستعباد والخضوع والخنوع. فلابد إذن من فئة مؤمنة تــدفع الــثمن الأول وتكون رأس الحربة التي تطعن الطاغوت .

وبناء على ما تقدم نستخلص التوجيهات والتوصيات التالية :

1. سنة أخذ الله للطغاة والظالمين : إن قدر الله لا يُستعجل فلكل أجل كتاب. ولنا بما حدث من الطغاة عبر، حين سلب الله منهم ما حولهم ، وانتقم منهم، وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله، وبسبب طغيانهم وظلمهم واســتكبارهم وعــصيانهم عن قبول الحكم والإذعان له . فهل حذر الناس من التهاون في أمر الله ؟ أين انتفاش فرعون وسطوته حين أدركه الغرق وأحس ببــأس الله؟ لقــد أعلــن الاستسلام في ساعة لا ينفع فيها الندم ولا ينفع فيها إيمان .

لما أغضبوا الله بالإفراط بالعناد والمعصية كانت سنة الله التي مضت ولــن تجد لسنة الله تحويلا، فهو يمهل ولا يهمــل [1]. يقــول الله تعـــالى: " $Rqÿ™#ä $ß=ù

ÇÎÎÈ šú ïÏèÅHødr& öNßg»oYø%txîr'sù öNåk÷]ÏB $oY ôJs)tGR$# ÇÎÏÈ šú ïÌÅzFd ¨Wxsr $ZÿÏ=™ öNßg»oYù=yèyfsù "[2]،

أي جعلناهم متقدمين في الهلاك ليتعظ ويعتبر بهم من بعدهم من الطواغيت إلى يــوم القيامة [3].

لقد ذهب هؤلاء الطغاة الذين كانوا ملئ الأعين والأنفس فـــي هــذه الأرض. ذهبوا فلم ييأس على ذهابهم أحد، ولم تبك على فــراقهم ســماء ولا أرض، ولــم يُنظروا أو يُؤجلوا عندما حل ميعاد أخذهم .

قال تعـــالى : " $yJsù ôMs3t/ ãNÍköŽn=tã âä!$yJ¡¡9$# ÞÚö‘F{$#ur $tBur (#qçR%x. šúïÌsàZãB ÇËÒÈ "[4].

(وهو تعبير يلقي ظلال الهوان ، كما يلقي ظلال الجفاء، فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء، ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء)[5].

((يراد بعدم البكاء عدم الاكتراث بهلاكهم ولا الاعتداد بوجودهم، وقد كثــر التعظيم لمهلك شخص بكت عليه السماء والأرض، بكته الريح ونحــو ذلــك، وفــي التفسير شواهد كثيرة من شعر العرب عليه. ومن أثبت كالصوفية للأجرام السماوية والأرضية وسائر الجمادات شعورا لائقا بحالها لم يحتج إلى اعتبار المجاز وأثبــت بكاء حقيقيا لها بحسب ما تقتضيه ذاتها وتليق بها، أو أوله بالحزن ونحوه أو أثبتــه لها بحسب ذلك أيضا))[6].

---

1 ــ انظر البيضاوي، تفسير البيضاوي (ج5، ص149) .

2 ــ[الزخرف : 55ــ 56] .

3 ــ الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت ــ ج4 ، ص130 .

6ــ [الدخان : 29] .

5 ــ قطب، في ظلال القرآن (368/7) .

6 ــ شهاب الدين، تفسير الألوسي ج1 ، ص129] .

2. الفتنة والاختبار : وقوله تعالى : " r_ èt$Y /èÖ 6àN 9ïè Ù> üF̈Z β &? ÁÉŽç r cš
r 2Ÿ¼b ‘ 7 /ÁŽ# ÈçÏ " [1] .

(تلك هي الحكمة من وجود الطواغيت ، وذلك هو قضاء الله وقدره في خلقه، وله الحكمة البالغة، فالحياة دار بلاء وامتحان واختبار، حيث أراد الله سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس؛ مؤمن وكافر) [2].

وعلى هذا الأساس نفهم الحياة الدنيا ، فهي صراع بين الحق والباطل. ومن أسقط تلك الحقيقة من تصوره للحياة فقد أخطأ الفهم الصحيح وضل .

3. هناك صنف من الناس يتعلقون بالضعف الموهوم، فهم في جهد دائم للبحث عن علاقة يعلقون عليها ضعفهم، يقول تعالى: "]b$%© ûïÏ? q©9uQ$# ÌÍ»=J3è

$ß9Ü þ R&ã Å¹Ïè $% (q¹$% ÏŠN äZ ê£L %$¹q) äZ$ %Ì óG ÒèÌ ÿuü û Î’ $# ÐF÷ Ùç %$¹p) &9Ø

?tô ¨ò ÛS« ÚP$# ‹« r°ÅèÜ ùÍ$k $ÅãrŽ) ÏŽk$ ûrÐÍ»7 Ù"rÌÏ9_ ©è# r™$äN Ø B ÁŽ•Ž#

ÇÐÈ " [3] .

ليس باليد حيلة، تلك هي حجة الأغلبية الصامتة هذه الأيام وشعار القاعدين! إنها الحجة الباهتة التي تُخفي وراءها الخوف من الموت. إنه الهروب من المواجهة والقيام بالواجب ودفع الثمن هو الذي أقعد الكثيرين! ولسان حالهم يقول كما قال الأذلاء والأرقاء: " ù$©Ïd ÷ó &RM ‘r š •š ù)»G xl Ï)R$ d»g Y$ %»ë® r c š ÈÍËÇ " [4] .

(لو علموا أن لكل نفس كتابا مؤجلا إلى أجل مرسوم، ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم . فالخوف والهلع والحرص، والتخلف لا تطيل أجلا،

---

[1] ـــ [الفرقان : 20] .
[2] ـــ القرطبي، تفسير القرطبي (13 ، 18)
[3] ـــ [النساء : 97] .
[4] ـــ [المائدة : 24] .

والشجاعة والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمرا، فلا كان الجبن، ولا نامت أعين الجبناء .

والأجل المكتوب لا ينقص منه يوم ولا يزيد. بذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس، فتترك الاشتغال به، ولا تجعله في الحساب، وهي تفكر في الأداء والوفاء بالالتزامات والتكاليف الإيمانية، وبذلك تنطلق من عقال الشح والحرص، كما ترتفع على وهلة الخوف والفزع. وبذلك تستقيم على الطريق بكل تكاليفه وبكل التزاماته، في صبر وطمأنينة ، وتوكل على الله الذي يملك الآجال وحده) [1].

هذا هو شأن المؤمنين المنافحين عن عقيدة ودين، لا تضعف نفوسهم ولا تتضعضع قواهم ولا تلين عزائمهم ولا يستكينون أو يستسلمون للطغاة والظالمين والمستكبرين .

فلا تكونوا كالذين قالوا : " @_&#<ĵ $Y?öz&Iwöü9 A$FÉ$$Zšã |M6G. Oï $Y/‘

fÌ% ö5= " [2] .

وهذا لا يصدر ممن يعلم أن الآجال محدودة والأرزاق مقسومة . إلا أن يكون قائله ممن لم يرسخ في الإيمان قدمه ولا انشرح بالإسلام جنانه [3]. وربما كان القعود ناتجا عن وسوسة شيطانية مفادها أن ضريبة العز باهظة التكاليف، والحقيقة غير ذلك .

إن قلة التضحية في النفس والمال، وقلة عدد المستعدين لهذه التضحية، تقلل فرصة الانتصار وأجلها، فهذا التقاعس سبب أكيد في إطالة أمد الظلم والاستعباد .

وفي المقابل كان الاستعداد للتضحية وبذل المال والنفس سبب في الانتصار على الطواغيت فيما مضى من الزمان، وهذا يعني أننا بحاجة مع الذات وتبرئتها أو تلمس الأعذار لها .

---

[1] ــ قطب، في ظلال القرآن (ج1، ص487) .

[2] ــ [النساء :77] .

[3] ــ القرطبي، تفسير القرطبي (5 ، 281) مع بعض تصرف .

فيا أيها المتقاعسون الخائرون المتثاقلون: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟! أين هي المحاولات للتخلص من الرق لتبرئة الذمة أمام الله تعالى، فإن لم تغز فلا أقل من أن تحدث نفسك بالغزو، يقول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ: [من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه في الغزو مات على شعبة من نفاق] [1]. إنه العجز والضعف والحرص على حطام الدنيا حملهم على الخنوع والاستسلام ! " ÑÙ§1rÙB 7Í»9rê ÇÏÈ #ž•ÃB ÑNä$™r è@g_ " [2].

وذلك لأننا أمة جهاد وتمرد على الظلم، ولأننا حملة السلاح نخوض معركة الحق إلى يوم القيامة، فمن قعد فليس منا، فهو إلى جهنم وبئس المصير. إن مواجهة الطواغيت تحمل الكثير من المخاطر والعقبات، وذلك حين يقل النصير ويتكالب الأعداء، فربما زين الشيطان لبعض ضعاف النفوس المهادنة ونصف الحل! وربما تسول النفس بمثل ذلك حين اشتداد المواجهة وازدياد التضحيات. وتلك هي وساوس الشيطان لثني المؤمنين عن مواصلة المشوار.

فإذا حدث هذا فعليك بالاستعاذة بالله. يقول الله تعـــالى: " `Ë B š• Zî"\ƒ $BÎ)r ÇËÉÉ ÒŠÏæ ìì‹Ïÿ ™ ¼çR¨) «! $$Î/ õ‹ÏèGó™$$sù ØøÌ“R ÇÜ¯ö±9$ " [3]. أي فاستجر بالله والتجئ من تلك الوسوسة لأنها تبعث على الشر ، فهو السميع لكل ما يسمع والعليم بكل ما يعلم، ومن كان كذلك فهو يعيذ من استعاذ به [4].

4. إن تكاليف الخروج من العبودية للطاغوت والدينونة لله وحده مهما عظمـــت وشقت أقل وأهون من تكاليف العبودية للطواغيـــت! إن تكـــاليف العبوديـــة للطواغيت فاحشة ـــ مهما لاح فيها من السلام والأمن والطمأنينة على الحياة

---

[1] ـــ [صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو (ج3) (ص1517) رقم (1910)] .

[2] ـــ [النساء : 97] .

[3] ـــ [سورة الأعراف : 200] .

[4] ـــ المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 516/4] .

والمقام والرزق! إنها تكاليف بطيئة طويلة مديدة! تكاليف في إنسانية الإنسان ذاته، فهذه (الإنسانية) لا توجد، والإنسان عبد للإنسان ــ وأي عبودية شر من خضوع الإنسان لما يشرعه له إنسان؟! وأي عبودية شر من تعلق قلب إنسان بإرادة إنسان آخر به، ورضاه أوغضبه عليه؟! وأي عبودية شر من أن تتعلق مصائر إنسان يهوى إنسان مثله ورغباته وشهواته؟! وأي عبودية شر من أن يكون للإنسان خطام أو لجام يقوده منه كيفما شاء إنسان؟! على أن الأمر لا يقف عند حد هذه المعاني الرفيعة ــ إنه يهبط ويهبط حتى يكلف الناس ــ في حكم الطواغيت أموالهم التي لا يحميها شرع ولا يحوطها سياج. كما يكلفهم أولادهم إذ ينشئهم الطاغوت كما شاء على ما شاء من التصورات والأفكار والمفهومات والأخلاق والتقاليد والعادات، فوق ما يتحكم في أرواحهم وفي حياتهم ذاتها، فيذبحهم على مذبح هواه، ويقيم من جماجمهم وأشلائهم أعلام المجد لذاته والجاه! ثم يكلفهم أعراضهم في النهاية. حيث لا يملك أب أن يمنع فتاته من الدعارة التي يريدها بها الطواغيت، سواء في صورة الغضب المباشر ــ كما يقع على نطاق واسع على مدار التاريخ ــ أو في صورة تنشئتهن على تصورات ومفاهيم تجعلهن نهبا مباحا للشهوات تحت أي شعار! وتمهد لهن الدعارة والفجور تحت أي ستار، والذي يتصور أنه ينجو لماله وعرضه وحياته وحياة أبنائه وبناته في حكم الطواغيت من دون الله. إنما يعيش في وهم أو يفقد الإحساس بالواقع![1].

5. إن الطغيان لا يتعلق بطبقة الحكام فقط ، بل يشمل غيرهم من كل كافر بالله جحودا وعتوا وأصنافا من العلماء والتجار والأثرياء ومرتكبي الكبائر مع المجاهرة والإصرار واللاهثين وراء سراب الدنيا بلا قناعة ولا رضا بقضاء الله وقدره الذي قسم أرزاق العباد بمقتضى كمال حكمته .

[1] ــ قطب، في ظلال القرآن (ص1320 ، 1321) .

المراجع

القرآن الكريم .

أبو الحسين ، ابن فارس أبو الحسين أحمد، د.ت، **معجم مقـــاييس اللغـــة**، تحقيـــق عبدالسلام محمد هارون .

ابن كثير، لإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء الدمشقي، د.ت، **تفسير القرآن العظيم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

ابن إبراهيم، للإمام علاء الدين بن محمد بن إبراهيم البغدادي، د.ت، **تفسير الخازن** (لباب التأويل في معاني التنزيل)؛ دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

أنور، سامي، (2004م)، **الروضة الندية شرح الأربعـــين النوويـــة** ـــ جمعـــه وترتيبه، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع ـ القاهرة.

ابن كثير، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل الدمشقي، المتـــوفى ســـنة 774هـــــ، 1408هـــ، 1988م، **البداية والنهاية**، تحقيق علي شير، دار إحياء التـــراث العربي، طبعة جديدة محققة الطبعة الأولى.

ابـــــن ماجـــــه عبـــــدالله بـــــن محمـــــد بـــــن يزيـــــد القزوينـــــي، 1429هـــ، 2008م، **سنن ابن ماجه** ـ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـــ الرياض.

ابن بلبان ــ محمد بن حبان بن أحمد أبوحاتم التميمـــي البـــستي، (1414هـــــ - 1993م)، **صحيح ابن حبان**، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعـــة الثانيـــة، تحقيق شعيب الأرنؤوط.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، (1426هـــ ــ 2005م)، **قصص الأنبياء**، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ــ القاهرة.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبـــد الله، (1393هـــــ - 1973م)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، د.ت، تحقيق شعيب الأرنـــاؤوط مؤســـسة الرســـالة بيروت.

الأشقر، محمد بن سليمان، (1422هـــ ـــ 2002م)، **زبـــدة التفاســـير** ـــــ دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المتوفى سنة 502هـــ، د.ت، **المفـــردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد كيلاني الناشر دار المعرفة ـــ لبنان.

الآملي، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بـــن غالـــب، (أبـــو جعفـــر الطبـــري)، 1420هـــ - 2000م، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، [224 - 310 هـــ] تحقيق أحمد محمد شاكر، دار النشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى.

بن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي،(159 ـــ 235 هـــ) **مصنف ابن أبي شيبة** تحقيق : محمد عوامة .

البوصيري، **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، تحقيق: عادل بن ســـعد السيد بن محمود بن إسماعيل،(1419هـــ - 1998م)، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى.

البغدادي، لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب، د.ت، **تاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية– بيروت، (63/4).

البغوي، الحسين بن مسعود، **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل**، [المتـــوفى 516 هـــ] حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمـــان جمعـــة الحـــرش، سليمان مسلم ، **ضميرية**، 1417 هـــ - 1997م، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة .

البخاري، محمد بن اسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رســـول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وسننه وأيامه ـــ** المحقق زهير بـــن ناصـــر الناصر، 1422هـــ الناشر دار طوق النجاة ، ط (1) .

البيجوري، إبراهيم، (1374هـ ـ 1954م)، **شرح البيجوري على جوهرة التوحيد**، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، مصر.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (1410هـ)، **شعب الإيمان**، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول .

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **السنن الكبرى** ، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ (1414هـ ، 1994م) .

البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي، د.ت، **صحيح البخاري**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان.

بليق، عز الدين،(1398هـ ، 1978م)، **منهاج الصالحين**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، نقلا عن الإحكام في أصول الأحكام للآمدي .

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى، (المتوفى: 279هـ)، **الجامع الكبير**، تحقيق:بشار عواد معروف، (1998م) ــ دار الغرب الإسلامي – بيروت.

التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، (ت : 1393هـ)، 1997م، **التحرير والتنوير من التفسير** ـ دار سحنون للنشر والتوزيع / تونس.

الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، د.ت، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

الجمل، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي، د.ت، **الفتوحات الإلهية (تفسير الجمل)**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر ـ القاهرة .

الحاكم، أبي عبدالله، **المستدرك**، 1411هـ ـ 1990م، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 ـ تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا .

الحميدي، محمد بن فتوح، 1423هـ - 2002م، **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - الطبعة: الثانية تحقيق : د. علي حسين البواب .

الحنفي، للقاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، د.ت، **(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)** ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت / لبنان .

الخضري، محمد بن عفيفي نور، د.ت، **اليقين في سيرة سيد المرسلين**، تحقيق هيثم هلال دار المعرفة بيروت- لبنان الطبعة الأولى .

الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، د.ت، **تفسير روح البيان** ــ دار إحياء التراث العربى، بيروت،.

الدينوري، أبي بكر أحمد بن مروان، د.ت، **المجالسة وجواهر العلم**، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،(1419هـ) جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم، بيروت – لبنان.

الديلمي، محمد احمد عبدالملك، (1407هـ ــ 1986م)، **مسند الفردوس** ـــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول .

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، (141هـ - 1995م)، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة تحقيق : محمود خاطر .

الرازي، عبدالرحمن بن أبي حاتم، (1417هـ، 1997م)، **تفسير ابن أبي حاتم** ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ تحقيق أسعد محمد الطيب، دار طيبة للنشر والتوزيع .

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، د.ت، تفسير **القرآن الكريم للرازي/** المتوفي سنة (606هـ).

الزيات، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن، 1960م، 1380هـ، وآخرون، **المعجم الوسيط /** دار الدعوة والنشر، استانبول / تركيا / ج1.

السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي، د.ت، **سنن ابي داود**، وتوفي بالبصرة سنة (275هـ).

السيوطي، جلال الدين، د.ت، **جامع الأحاديث**، د.ن، د.ط.

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، (1424هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، دار الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ الرياض المملكة العربية السعودية.

الشافعي، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، (1406هـ - 1986م)، **لسان الميزان**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت الطبعة الثالثة ، تحقيق دائرة المعرف النظامية – الهند .

شاكر، أحمد بن محمد وآخرون، د.ت، **تحقيق سنن الترمذي** ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت .

شهاب الدين، أبي المعالي محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين، 1971م، **تفسير الألوسي**، ط2، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ـ تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي (1422هـ ، 2001م)، هجر للطباعة والنشر، د.ط، القاهرة.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، د.ت، **المعجم الصغير**، دار عمار/ عمان.

الطبراني، سليمان أحمد الطبراني أبو القاسم، المتوفى (360هـ)، 1404هـ - 1983م، **المعجم الكبير**، الناشر : مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ،تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي .

العسقلاني، ابن حجر، (المتوفى : 852هـ)، د.ت، **إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي** الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب [دمشق، بيروت].

الغزالي، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، (1413هـ)، **المستصفى في علم الأصول** ــ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي .

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، 1981م، **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ــ دار الرشيد / العراق .

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين، (1426 ــ 2005م)، **القاموس المحيط**، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة.

الفحل، ماهر ياسين، د.ت، **التحقق رياض الصالحين للنووي** - كلية العلوم الإسلامية – جامعة الأنبار .

قطب، السيد، (1408هـ ــ 1988م)، **في ظلال القرآن** / دار الشروق / بيروت.

الكردي، محمد أمين، (1415هـ ــ 1995م)، **تنوير القلوب** / دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع/ بيروت.

مختار، أحمد مختار عمر، وطعمه، صالح جواد، وآخرون، د.ت، **المعجم العربي الأساسي**.

المعافري، أبي محمد عبدالملك بن هشام، **السيرة النبوية**، المتوفى سنة 219هـ، تحقيق وليد بن محمد بن سلام وخالد بن محمد بن عثمان ــ(1422هـ ــ 2001م)، مكتبة الصفا ــ القاهرة.

المناوي، عبدالرؤوف، 2008م، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، دار الشروق، لبنان.

المنذري، الحافظ، د.ت، **مختصر صحيح مسلم** ــ نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت .

بن منظور ، محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، د.ت، **لسان العرب**، دار صادر/ بيروت.

المنذري، أبي محمد زكي الدين عبـــدالعظيم، (1393هـــــ ، 1979م)، **الترغيـــب والترهيب من الحديث الشريف**، تحقيق محمد محي الدين عبدالمجيد ـــــ دار الفكر، بيروت، ط3.

النيسابوري، أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي،(1422هــ ، 2000م)، **كشف البيان**، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى .

النيسابوري، أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، د.ت، صـــحيح مـــسلم **(الجامع الصحيح)**، دار الجبل / بيروت؛ دار الآفاق الجديدة / بيروت .

النسائي، أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي، **سنن النسائي** ــ مكتبة المعارف للنـــــــــــــشر والتوزيـــــــــــــع ـــــــــــــــ الريـــــــــــــــاض (1429هــ ، 2008م) .

المعلومات الشخصية

الاسم: سلطان محمد محارب الشراري
الكلية: الشريعة
تخصص: أصول الدين
هاتف : 00966566625806
سنة التخرج: 2013
بريد الكتروني:raefmodar@yahoo.com